كلمة المسار

النصّ الإبداعي والإشكالات المتعدّدة



د. صلاح الدين بوجاه

نواصل البحث في هذا العدد الجديد عمّا ينتشلنا من الرواسم الشائعة، ويفضي بنا إلى الإمكانات الجديدة. هذا هو المجال الذي نرغب في أن نزجّ بمحتوى «مساركم» فيه ! إنه مجال الإمكان، والتخمين، والتغليب، والترجيح.

فلا توجد حقيقة كبرى نحتكم اليها، ولا توجد نظرية إبداعية واحدة تثيرها المدونة التونسية. ذلك أنّ نصنا الإبداعي يمرّ بإشكالات متعددة.

فالخطاب النقدي يخطئه، أو يجانبه. والقراءات الجامعية لا تختلف كثيرا عن القراءات السيارة السريعة، في هذا المجال.

لهذا فإننا نستحسن أن يوكل الأمر إلى «الساحة الثقافية»، وإلى الأدباء العاملين في كنفها، أولئك الذين يؤكد انتاجهم انّ ولاءهم للثقافة، وللساحة الثقافية، قبل ولائهم لأية دوائر أخرى.

إن هذا الاخلاص للثقافة هو الكفيل بوجود نقاد، وبميلاد نصوص أدبية، وباندلاع شرارة الأدب الجيد المشروط بذاته !

والأدب الجيد هو صانع الثقافة الجيدة. وإننّا نلاحظ اليوم غنى كبيرا في هذه المفاهيم الحافة «بالمسألة الثقافية» التي تستجلب شطرا مما يعقد في حقل السينما، أو النحت، أو الطرب، أو الفنون التشكيلية. وهي جميعا تسهم في بلورة ملامح ساحة ثقافية ثرية متكاملة، منسجمة مع أصولها، ورؤاها المقبلة.

الحدث الثقافي

اليوم الوطني للثقافة

تكريس خطاب ثقافي معتدل ومتوازن

يوم السبت 2 جوان 2007 أكرم رئيس الدولة أهل الفكر والابداع والعاملين في قطاعي الثقافة والاعلام في موكب انتظم بقرطاج بمناسبة الاحتفال باليوم الوطني للثقافة.

وفي الخطاب الذي القاه بالمناسبة :
دعا رئيس الدولة الى ان يكون المثقفون في طليعة قوى التحديث والتنوير والعطاء المتميز معربا عن الاعتقاد بان المثقفين التونسيين مدركون لحجم المسؤولية الملقاة على عاتقهم للاسهام في تعزيز ما تعيشه البلاد من حركة تحديثية ثابتة الجذور وفي تكريس خطاب ثقافي عقلاني معتدل ومتوازن يحسن توضيح المفاهيم وصياغة القيم ويشيع بين أفراد المجتمع فضائل الاجتهاد والاعتدال والتسامح وينمي فيهم التعلق بالوطن والولاء له دون سواه ويعمق لديهم الحرص على التحلي باليقظة الدائمة لصيانة مكاسب تونس وترسيخ مناعتها. مبرزا ما شهده القطاع الثقافي من دعم وتأهيل في كل المجالات وما شمله من اصلاحات متنوعة وتطوير للتشريعات فضلا عن رعاية المبدعين وتشجيعهم باعتبار الحق في انتاج الثقافة والاستفادة منها والاستمتاع بها جزء لا يتجزأ من حقوق الإنسان.
وقد لاحظ رئيس الدولة ان مستقبل الثقافة في هذا العصر رهين ارتباطها بالمسيرة التنموية وتفاعلها مع الدورة الاقتصادية انتاجا وتمويلا وتسويقا.
وبيّن ان السعي سيتجه على امتداد سنوات المخطط الحادي عشر للتنمية الى فتح آفاق أوسع أمام السينما والكتاب لانهما أهم العناصر المكونة للصناعات الثقافية وهو سعي مشترك يتقاسم فيه الأدوار كل من الدولة والمثقفين والقطاع الخاص.
كما أذن سيادته بتنظيم استشارة وطنية موسعة حول المسرح التونسي لفتح آفاق جديدة أمام هذا القطاع وجميع العاملين فيه واثبات قدرة المسيرة الثقافية الوطنية على التطور والتميز مع مختلف المراحل التي يمر بها المجتمع التونسي. وأذن كذلك باعتماد التوصيات الصادرة عن الاستشارة الوطنية حول الموسيقى التونسية ووضع خطة عملية لتنفيذها تدريجيا ووفق الامكانيات المتاحة الى جانب مراجعة قانون الاحتراف والتكوين في اتجاه تحسين المستوى الفني وايلاء مكانة أكبر للتراث الموسيقي والحرص على جمعه وحفظه ونشره.
من جهة أخرى أعلن رئيس الدولة عن قراره بتحسين مردود عائدات الحقوق المادية المتأتية من بث المصنفات بوسائل الاعلام المسموعة والمرئية وبمراجعة اتفاقية البث العام الاذاعي والتلفزي الجاري بها العمل مع المؤسسة التونسية لحماية حقوق المؤلفين قصد الرفع من مستحقات المؤلفين الذين يتم استغلال مصنفاتهم وابرام اتفاقية بخصوص المصنفات المستغلة في البث الاشهاري.

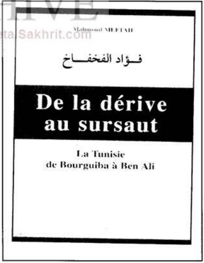
وأكد الرئيس زين العابدين بن علي في الختام حاجة الثقافة اليوم الى مزيد التطور والاشعاع في سائر حقول الانتاج والابداع الأدبي والفكري والفني حتّى تظلّ على الدوام حصينة صامدة وحية متجددة.

وتولى رئيس الدولة في هذا الموكب تكريم ثلة من رجال الثقافة والفكر والمسرح والسينما والفنون والاعلام باسنادهم الوسام الوطني للاستحقاق في ميدان الثقافة لما تميزوا به من أعمال ومساهمات في مختلف المجالات الثقافية.

هذا وقد انتظم مجلس وزاري يوم الثلاثاء 19 جوان 2007 لتفعيل قرارات رئيس الدولة التي تعدّ مكسبا ثمينا للثقافة وأهلها عموما.

الجوائز التقديرية في ميادين الاداب والفنون :

- جائزة الآداب والعلوم الانسانية : السيدة عروسية النالوتي
- جائزة التراث والآثار : السيد الناصر البقلوطي
- جائزة السينما : السيد يوسف بن يوسف
- جائزة الموسيقى : السيد فوزي الشكيلي
- جائزة التصوير الشمسي : السيدة ليليا بن زيد
- جائزة الفنون التشكيلية : السيد الهادي اللبان
- جائزة ثقافة الطفل : السيد يسري بوعصيدة
- جائزة النقد الثقافي : السيدة سميرة دامي
- جائزة الحرف الفنية : السيد محمد بن قابسية
- جائزة المسرح : السيد الاسعد بن عبد الله.





جلال الدين الرومي والمائوية الثامنة

(2007 / 1207)



جلال الدين الرومي

خصصت اليونسكو العام 2007 للاحتفال بالمائوية الثامنة لميلاد الشاعر الصوفي جلال الدين الرومي... وفي اطار هذا الاحتفال نظمت بيت الحكمة بقرطاج بالتعاون مع سفارة ايران في بلادنا ندوة فكرية حوله وذلك يومي 28 و29 ماي 2007 من المنتظر صدور اعمالها في كتاب.

جلال الدين الرومي الذي ما زال الباحثون يختلفون بشأن ترجمته، اهتمّ به المستشرقون والباحثون في تاريخ الافكار والاداب العربية والفارسية وعدّوه أسطورة الشرق ومعدن الأسرار وأنشودة الفن والجمال...

فالندوة التي أقامتها حوله بيت الحكمة شارك فيها باحثون ودارسون وأكاديميون من تونس وايران والمغرب وايطاليا... وقد أشاد الكل بتفرده وتميّزه ذلك أنّه شخصية علمية صوفية أدبية فلسفية تعتمد فلسفته في جانب منها على الصوت والسماع وعلى أثر النغم الشجيّ في النفوس والأرواح التي تنشىء وتسمو عند سماعه الى حد يتعمق لديها معنى الوجود والايمان بالله الواحد...

ولد جلال الدين الرومي سنة 1207 في عائلة مشهورة بالعلم والمعرفة في «بلخ» بافغانستان وقضى أغلب فترات حياته بين الشام وقونية ومدن بلاد فارس. اشتهر باديء الأمر قاضيا ولغويا ونحويا وفلسفيا فقيها وعالم دين مختص في مسائل العقيدة والكلام، في قضايا الايمان والتشريع والخلاف بين الفرق والمذاهب ثم سلك طريق التصوّف ليصبح قطبا لامعا من أقطابه. وقد تتلمذ عن الترمذي وعن محيي الدين بن عربي وهو أيضا شاعر حرّر الشعر من القوالب الجاهزة وجعل منه لغة الروح بل ولغة الفلسفة من حيث أنها عشق للحكمة.

واضافة الى ديوانه الشهير (شمس تبريز) قد نظم 3 آلاف ومائتي قصيدة غزلية تحتوي على أكثر من 34 ألفا و600 بيت من الشعر.

وفي أشعاره يكثر توظيف الماء والحيوانات والشمس اضافة الى أسماء الله والنبي والقرآن.. كما له (الديوان الكبير) و (مكتوبات)، وهذا الأخير تضمن حوالي مائة وخمسين رسالة كان قد وجهها مفعمة بالنصائح لحكام عصره.

ـ أبو دنيا ـ

القصّــــة

عين على الحائط

قصة بقلم : منجي السعيدي

التفّ حول نفسه حتّى لم يبق للفح البرد منفذ إلى جسده النحيف. رفع كتفيه، وجمعهما فغابت رأسه بينهما، واحتمت أذناه من وخز الرّذاذ، تقاطع ذراعاه فوق بطنه وهو يوثق يديه وسط الجيوب، حدّب ظهره وأحنى رأسه...

بدا حريصا على سيجارته، فبقاء اشتعالها منبع كبرياء وتحدّ، لذلك ظلّ يحولّها بين شفتيه من موقع إلى آخر، مجنّبا إياها قطرات المطر التي تتجمّع بين الفينة والأخرى على مرتفعات أنفه، ثمّ تنزلق مستقرة فوق شاربيه.

كذا الصورة يرسمها لي أرشيف الواقع.

التفت يمنة ويسرة وكأنه يهمّ بأمر جلل، تململ في حركته وكأنّه يتفقد المكان. ليس في المحيط من يوليه اهتماما، فالطقس ممطر، والأنوار لا تسمح بالرؤية عن بعد. جذب يديه، فرك كفّيه، جمع أصابعه ومطّط ذراعيه. انتصب على قدم واحدة واستدار حول نفسه بسرعة تنمّ عن مزيج من الفرح والشوق والاستعداد. دقّق النظر إلى سيارتي وكأنّه محرج من وجودها بالمكان. لم يتمكن من التأكّد من وجودي لما تراكم على البلّور من قطرات. استدار عنها معبّرا بحركة من يده عن عدم اكتراث.

انغمست وسط مقعدي حتى لا يراني وقد انتابتني رغبة في استكشاف نواياه. حدّدت من تحركي، وخفّضت من أنفاسي. أحكمت الاختفاء حتى لا يباغتني أحد الأصدقاء فينكشف وجودي، فيعدل صاحبنا عن مهمته.

تقدّم الرجل نحو حائط، وانتصب أمامه يتأمل ارتفاعه. لقد حاول صاحبه أن يمنع دخول الندمان والمعتوهين داخل أرضه فبناه، ولمزيد الإحكام، سدّ ثلاثة أرباع باب الحائط بقطع آجُرّ متآكلة.

تقدّم المغامر نحو الباب. أعاد حبك حزام سرواله. ثم مسح أنفه بظهر كفّه، ومسح ظهر كفّه في مؤخته. تمطّط قليلا ومدّ يده الى أعلى الآجُرّ. فهمت أنّه سيحاول الصّعود، فبدا لي الأمر في غاية الصعوبة.

اختبر مدى تماسك الآجرّة، وفي حركة سريعة دفع بجسده الى أعلى مستعينا بيده الممسكة بالآجُرّة.

وجدت نفسي أتململ فوق مقعدي، وكأنّي أدفع به عن بعد إلى أعلى، ولكنه عوضا عن الصعود رأيته يهوي إلى أسفل، وتسقط الأجرة المتآكلة فوق صدره.

أوشكت على الصراخ، وهممت بالاسراع لنجدته لكنني عدلت عن كلّ فكرة خامرتني.

قام المسكين يكمّد ألما في مؤخرته، وآخر في صدره، ويمعن النظر هل رآه من أحد. ولما تبين أنه في مأمن من كلّ رقيب، انتفض من الوحل العالق بثيابه، ثمّ أمسك بالآجرة وأحكم وضعها أسفل قدميه ليقلّص بذلك شدة الارتفاع، فربّ ضارّة نافعة... وما هي إلا لحظة حتّى غاب وراء الحائط، وانقطعت عنّي أخباره... اشتدت حيرتي، وحدثتني نفسي بأن أسترق النظر لولا خشيتي أن يراني أحد، فتتعلق بي تهمة ما سيرتكبه صاحبنا المتسلل.

نزلت من السيارة، واقتربت من الحائط لعلي، إن سمعت صرخا، أقوم بواجب النجدة. ثم عدت إلى السيارة، ثم غادرتها إلى المقهى لعلّي أجد من يهوّن عليّ حيرتي... لكنّي تراجعت تكتما، وبقيت أحاول فكّ اللغز. ولما خانتني قدرتي على الفهم، شغلّت المحرك، وجلت حول السياج من جهاته الأربع لعلّي أجد منفذا أسترق منه النظر إلى ما يحصل في الداخل، وعبثا فعلت، فليس من منفذ غير الباب الذي اعتمده صديقي المتسلّل. ولما أيقنت أن لا خروج لصاحبنا إلا من حيث دخل، عدت إلى موقعي وآليت على نفسي أن لا أغادر المكان حتى أتبيّن الأمر.

حدّثت نفسي أنّ صديقي لن يتركني أعاني ويلات الحيرة والصقيع، ويقضي ليله بالداخل. طال بي الانتظار، وبدأت تراودني هواجس أن يكون حصل له مكروه.

ألا يكفيه ما يبدو عليه من علامات الفقر والخصاصة حتى يزجّ بنفسه في المخاطر؟! أليس من ورائه زوجة وأبناء قد يكونون في انتظار عودته بما سيجود عليه يومه من رزق يسدّون به الرمق. فمن المؤكّد أن تلبية التزاماته العائلية تستوجب منه الجهد المستمرّ والنشاط الدائم والسلامة فكيف لو حصل له مكروه في هذا اللّيل.

- ليتني منعته من تخطّي الجدار...

ورأيتني مسؤولا عن أي مكروه يصيبه.

بدأ إحساسي بالذنب يتعاظم، اشتدّ قلقي واستبدت بي الحيرة عن مصير الرجل، وبدأت أفكّر في ضرورة التدخل لنجدته. أعوزتني الوسيلة، وأضجرني عجزي. وصببت وابل شتائمي على صاحب الأرض إذ لم يسدّ الكوّة أيضا لمنع أي اختراق للسّياج.

لم أنتبه إلى أن المقهى على وشك الاغلاق وأنه عليّ أن أعيد كأس القهوة، التي لم أحتس منها إلاّ القليل، فصاحب المقهى متعوّد على عدّ الكؤوس قبل الإغلاق، فإذا أتلف كأس أغرق الزبائن بوابل من الشتائم والدعوات، وقد سمعته مرارا يتوعّد بإغلاق المقهى وتحويله إلى ورشة للحدادة أو محل لكراء لوازم الأفراح والأتراح معددا ما لحقه من خسائر في إتلاف الكؤوس يوميا خاصة في العطل والأعياد التي يحفظ تواريخها عن ظهر قلب.

أقفرت الشوارع، وأصبح وجودي بالمكان مريبا، لكني عازم على ألا أبرح حتى أتبيّن حقيقة الأمر، حتى ولو اضطررت إلى إعلام صاحب المقهى بأن مكروها ألمّ برجل تسلّل إلى قطعة الأرض المجاورة.

بدأت أحس بالبرد يلسع قدمي، فأحكمت اغلاق النوافذ. لم تبرح عيناي السّور. وكم مرّة امتدت يديّ إلى القفل لفتحه والنزول لولا أن شيئا ما يمنعني من ذلك.. وفجأة... أطلّت من وراء الحائط يد.

اهتزت نفسي بهجة. إنّها لا ريب يد صديقي مؤذنة بعودته بعد طول غياب، توسمت خيرا بعدما انتابتني الهواجس وأضناني الانتظار. تنفست الصّعداء لسلامته. فركّت يديّ وعدلت من جلستي، واحتسيت جرعة من قهوتي الباردة، ومسحت بلوّر سيارتي، ومسدت شعري، وتمطّطت، فلم يسع تمطّي المكان.

أوشكت أن أطلق عبارات التهليل والترحيب لكنّي لازمت الصّمت وعاودني فضولي وقد أطمأننت على الرّجل.

بعد دقائق من الأكيد قضاها صديقي في معاناة الصعود استطاع أن ينتصب على سطح الحائط. أخرج قارورتين فارغتين من جيبه، تفقّد سلامة فوهتهما من أيّ كسر. أعاد مسحهما من الوحل العالق بهما بطرف قميصه. رفعهما إلى أعلى مبتهجا ببريق لونهما تحت أشعة الفوانيس الخافتة. ثبتهما بحذر شديد على حافة الحائط واستعد للنزول الذي يبدو على أيّة حال أيسر من الصعود. لم يستطع عند القفز أن يحافظ على توازنه فانكبّ على ركبتيه. نهض في عناء، وانحنى ممسكا بركبتيه لثوان. ثم انتصب قائما وأعاد ترتيب هندامه المبعثر. ولم ينسَ حبك حزام سرواله، وتجفيف أنفه بظهر كفّه وعيناه لا تفارقان القارورتين المنتصبتين في شموخ على حافة الحائط.

تمطّط ثم استوى، فرك كفّيه ابتهاجا لأمر ما لايعلمه إلا هو. حرك جسده فيما يشبه رقصة المنتصر. أمسك بالقارورتين وأعاد فركهما على ثيابه في حنين وعطف. نظر اليهما، ثم انطلق إلى المقهى، وانتصب عند الباب موليّا ظهره إلى صاحب المقهى الذي يبدو أنه معتاد على الأمر. ودون أن يلفظ بكلمة مدّ له القارورتين بيمينه، محولا نظره إلى الجهة اليسرى وبقي ينتظر.

مدّ صاحب المقهى يده إلى جيبه، وأخرج قطعا معدودة من النقود، وسلّمه إياها.

حدّق صديقنا في مغنمه، وقلّب مكسبه، ودقّق النظر، ثمّ انصرف دون تحيّة وهو يعدّ وبعيد العدّ «أربعة مائة فرنك» كرّرها مرارا وهو يمرّ بجانب سيارتي. ولم ينقطع عن التحديق في كفّه حتى أوشك أن يصطدم بعود الكهرباء.

لم يبق لي وقتها أيّ استفهام عن الأمر الذي أرّقني، فغادرت المكان، وأقسمت أن لا أعيد الكأس إلى صاحبه، وليقرّر غلق المقهى إن شاء.

النافذة والبساط

بقلم : البشير التلمودي

الإهداء : إلى ZYA الخالدة.. حبّا ووفاء.

ستبقى الأربع والعشرين ساعة الأخيرة التي عاشها من أجمل وأروع وأقسى لحظات عمره.. بدأت كما بدأ فجر الحلم... لكنّهما اختارا أن يفترقا سريعا حتّى يمرّ الزمن الفاصل.. حتّى يلتقيا لقاءهما المنتظر.. لقاءهما الحلم..

ما أجمل أن يتوغل الإنسان في لجّة الجنون عندما يعشق!..

ما أعذب أن يغرق في بحر الأحلام الوردية التي قد لا تتحقق !..

....

ومضى اللّيل... وهو ساهر على أمل أن يراها صباحا..

ما أطول ليالي الانتظار..

....

إنها رغم صورها الآتية من أفق الشّوق لرؤيتها.. تبقى كرمز لرحلة دفء وأشواك وأسلاك ورهبة..

....

فتح حافظة أوراقه ونظر إلى صورتها وهمس :

- «سأنتظرك وأنت في خيالي.. زهرة ربيعية.. وفراشة ملونة..وعطرا لذيذا..»

....

ولمّا أطل الصباح.. بدأ يعدّ بقايا السّاعات الفاصلة.. أحسّ بشعور غريب.. هو مزيج من الحبّ والشوق والخوف معا..

وتساءل كطفل صغير كما لو كان يخاطبها :

- «ما هذا الذي أصبح يدنيني منك ويدفعني عنك في نفس الوقت»...

- ....

- «إنّهما مدّ وجزر غريبان..

لا يمكن أن يفقه مداهما إلاّ من سار مثلنا على جمر الحرمان.. ولعلّ هذا ما زرع في قلبي الخوف عليك يا حبيبتي.. إنّ ما أصبح يربط بيننا من أحلام مجنّحة.. يدفعني إلى اجتياز خطوط النّار... حتى أضمّك بكلّ قواي إلى صدري.. وأقول لك.. أحبّك..»

....

تمنّى لو كانت أمامه حتّى تسمع همسته الأخيرة.. وحتّى لا تغضب فتقبل اعتذاره..

إنه كان على يقين من أنّ انتظار شيء قد لا يأتي.. لمن أبشع ما يعيشه العاشق !..

فآه.. لو تستطيع فهمه كما يحبّ!..

أغمض عينيه... وتخيّلها في انتظاره عبر دقائق امتدت طويلة.. مملة كأسلاك الشوك..

قال في قرارة نفسه كما لو كان يخاطبها :

- «عشت ساعات مماثلة يا عزيزتي تمنيت أن لا أراك بعدها..

تمنيت أن تبتلعني أرض النسيان.. حتى لا ألتقي بك إلاّ وقد انقشعت عنك سحب الغضب.. وعادت اليك ابتسامتك العذبة ونظراتك الحالمة.. ورقتك الساحرة».

....

ثم أفاق فجأة من شروده وقال يسأل نفسه :

- ما هذا الذي يحدث بيننا ؟..

أحاول أن أغالط نفسي.. أن أهذب عواطفي.. فأكتفي بما يجمعنا لكن.. كثيرا ما كنت أتساءل :

ترى هل أنا الآن.. في مستوى التجربة؟..

وأحسّ بأن القدر وضعهما في معادلة صعبة ورائعة.. معادلة قد لا تكون متكافئة.. رغم ما أمكن توفيره لها من أسباب النجاح!..

وقال محتجّا :

- وأين لنا هذا.. ونحن نعيش في مجتمع كالأسطبل!..

قال لها كما لو كانت أمامه :

- إنّ ما اقترحته عليّ.. سيبقى ساري المفعول.. حتّى ولو لم أعشه معك يا حبيبتي..

سيبقى أجمل ذكراك.. وسأحاول أن أعيشه مع خيالك السّاحر..

زمن الصّحو.. وزمن النّوم.. وزمن الجنون..

فلا تتعجّبي إن قلت لك :

- إنّني حققت مساء أمس.. ما لم أحققه معك هذا الصّباح..

قال ذلك وابتسم وبدأ يحلم..

....

نهض بكرة كما ينهض الطفل صباح العيد..

ليغسل أطرافه ويلبس أحسن ما عنده ويتعطر.. كانت بوادر انفعال السّعادة ظاهرة على وجهه.. وتحركاته لم تكن عادية.. وخشي أن يلفت إليه الأنظار..

فمنذ مدة طويلة وهو يعيش على هامش الحياة.. وفي خضمّ المأساة!.. ويبدو أنها كذلك.. ولعلّ هذا ما جمع بينهما؟!..

قال لها في شبه همس :

- «الآن فهمت يا صغيرتي.. إنّ ما ألّف بين قلبينا .. هو تلك المعاناة الداخلية التي يحياها كلّ واحد منّا»..

الآن فهمت سرّ تلك الضّحكات المحبوسة التي كنّا نطلقها ونحن نتحدّث ونثرثر كالأطفال..

الآن فهمت!.. وأحسّ كما لو أنّ صوتها الناعم يتناهى إليه من وراء البعد ليقول له :

«لقد أحسنا فعلا أننا كنّا من ضحايا هذا الزمن المشبوه.. لكننا قبلنا أنفسنا.. فاخترتك بساطا لي واخترتني نافذة لك..

وقرّرنا الانعتاق معا من هذا العذاب الذي بات يهدهد أحلامنا وآمالنا باستمرار»..

قال يسألها :

- لكن كيف يمكن أن يلتقي الخريف بالرّبيع؟ وهل يمكن أن يعانق فجر الأمل.. بداية اليأس؟!.. وهل يمكن أن يعانق فجر الأمل..

بداية اليأس؟!..

....

كان بوده لو تجاهل الواقع.. لكنه خاف أن يفتقدها يوما.. إذ.. لا أحد يتصوّر مكانتها عنده؟

شدّ على شفتيه ابتسامة حالمة وهمس :

- فعلا.. قد أكون البساط الذي يسافر بك إلى العالم الآتي..

وقد تكونين أيضا نافذتي الوحيدة لمعانقة أحلامي الضّائعة.. لكن...

- لكن ماذا ؟

- أخاف عليك منّي يا عزيزتي..

أخاف أن تري فيّ أشياء لا وجود لها..

- لا تقل هذا فأنا واثقة من شعوري نحوك..

- ربّما لكن قد تحولّ الظروف الإنسان العادي إلى إنسان كامل.. وما هو في الحقيقة إلاّ بقايا إنسان..

- لا تقل هذا ودعني أحبّك كما أشاء.. دعني أحبك كما أنت !

....

رغم ما حاول أن يزرعه في نفسه على امتداد السنين الطويله... من بذور الحبّ والوفاء والمثالية.. ما زال يشك في نفسه.. لأنّ الأنا الآخر ما زال يهدّده ويظهره أحيانا على عكس حقيقته!..

....

كلّ هذه الخواطر تبادرت إلى ذهنه هذا الصبّاح وهو يهيّىء نفسه لملاقاتها.. والتّمتع بحديثها العسليّ.. ووجهها الصّبوح.. وشعرها الحريريّ.. ونظرتها الحالمة.. وضحكتها الطفوليّة.. ونبرة صوتها الرّائعة

....

ولم يعرف كيف ضغط على فرامل عواطفه الجيّاشة التي اعتملت في داخله ليلة كاملة... وهو ينتظر ولادة فجر جديد..

انّ الحادية عشرة من صباح ذات يوم لا يمكن أن تنسى.. ورحلة ورديّة ستبقى خالدة مدى الحياة.. محطـة.. ولقـــاء.. وسعـــادة..

وحافلة تطوي المسافات بعيدا.. إلى أفق بلا وجوه.. ولا أقنعة ولا عيون.. وحوار دافىء مع امرأة ساحرة.. وتساءل في يـأس :

- ترى هل سنلتقي حقّا ؟!..

وسافر به الخيال إلى عالم بدا بعيدا.. رائعا.. لم يعدله وجود... وتمنّى أن لا تنتهي المسافة الفاصلة.. وأن لا يصلا إلى مدينة الضّباب..

حتّى يبقيا كطفلين سعيدين اختا را أن يغرقا في ثرثرة بلا حدود.. والعالم من حولهما يمرّ أو لا يمرّ.. فلا الصّور يمكن أن تغيّر شيئا..ولا الوجوه الكثيرة حولهما قادرة على طمس وجهيهما.. أو مسح سعادتهما..

قالت وهي تضحك :

- لم أكن أعلم أنّك تعشق مدينة الضّباب مثلي ؟

قال متعجبًا :

- ومن قال لك هذا ؟

- اختيارك لوجهة هروبنا من طاحونة الشيء المعتاد..

- ثقي بأنّ ما يهمّني هو قطع أية مسافة فاصلة وأنا بجانبك.. أنعم بثرثرتك الحلوة.. وأستنشق عطرك وإشراقك وبهاءك..

- فقط ؟..

- إنّ السفّر عبر موجات صوتك لمن أحلى الأشياء لديّ.. وها أنّ ذلك قد تحقّق لي في هذا الصّباح الاستثنائي الجميل.. فتكلّمي واضحكي ودعيني أحيا..

....

ما يؤلمه الآن.. وهو قريب منها.. هو هذا الحاجز الزجاجيّ الذي يقف بينهما.. كان يعرف أنّها قريبة جداً منه.. لكنّه واثق من أنها بعيدة جداً عنه.. وتساءل كما لو كان يصرخ :

- كيف أوفق بين طرفيّ علاقتنا المستحيلة يا معذبتي ؟ وكيف ستنهار هذه المسافة الفاصلة... حتّى ألقاك وأضمك إلى صدري بكلّ قواي ؟..

كان يخاف إن هو اجتاز يوما خطّ الانبهار.. أن يفقدها نهائيا !.. وهذا ما لا يرضاه أبدا..

صعب جداً أن يبقى الواحد منهما وراء الزّجاج.. لأنّ ضباب أنفاسهما الحارّة ستحجب عنهما الرؤية حتما !..

وصاح يترجّاها :

- دعيني أبتعد قليلا يا حبيبتي..

- لمـاذا ؟..

- حتّى أراك جيدًا يا حياتي..

سيبقى وجهك القمريّ قنديلي الوحيد.. في وحشتي القاتله !.. ابتعـدي ... ودعيني أغمض عينيّ حتّى أحتويك.. وأضمك إلى صدري بكل قواي.. وأقـبّـلـك.. وأحبّك كما أريد !..

...كان واثقا من أنها امرأة استثنائية لا يمكن أن يحبها حبّاً عاديّا.. أو أن يلتقي بها لقاء عاديّا.. فلوردة العشق.. حقّها في اختيار كوب الكريستال الذي ستوضع فيه.. وإكسير الحياة الذي سترتوي منه..

....

ولم يدر كيف رفع بصره ونظر إلى الأفق البعيد:

- آه لو تتصورين كم هي بعيدة نجمتك في سماء وجودي.. وكم هو قريب منّي ارتياحك لي.. لكن ترى هل أنا في مستوى حبّك الجبّار؟!..

....

لقد تصوّر رحلتهما المستحيلة بكلّ تفاصيلها.. فغمرته سعادة لا توصف!.. لكنّه عاد فتساءل:

- ثمّ ماذا ؟

فيعاوده الإحساس بالمرارة.. والخيبـة.. والحـزن.. والشوّق إليها من جديد.. وعاد يسأل نفسه :

- ترى ما هذا الذي أصبح في داخلي؟..

ماذا يمكن أن أفعله حتّى لا أجتاز خطّ النّار..

.حتّى لا أهشم الحاجز البلّوري الذي يفصلنا؟..

....

وأحسّ في مرارة أنّه دون مستوى الأنا الآخر..

ولأول مرة أحسّ بانهيار داخل كيانه..

لم يعد يتبيّن من خلال أنقاضه ملامح ذاته

الحقيقية..وهذا ما دفعه إلى عدم المجازفة !..

قال معتذرا في حزن :

ـ معذرة يا صغيرتي..

فأنا في حيرة من أمر هذا الذي أصبح يشدّني فعلا إليك.. لك أن تفهمي... أن تتجاهلي.. أن تبتسمي.. أن تتعجبي.. أن تثوري.. لكن ليس من حقّك أن تبتعدي عنّي..

فقط من أجل هذا الخيط الرّفيع الذي بات يجمعنا كخيط حزمة حطب الموقد !..

....

كان يحسّ أنه لم يكن في مستوى حبّها وعنايتها.. لكنّه كان واثقا كذلك من حبّه وخوفه عليها.. فإذا كان قد أخطأ.. فذلك هو مصير كلّ علاقة مستحيلة قد تنشأ يوما.. بين نافذة وبساط!...



الشـــعـــــر

قصائد

شعر : فاطمة بن محمود

الحــاء

ولــدي
أكتب الحاء، جيدا
هي تشبه كثيرا الجيم
لكن احذف النقطة السوداء
تحت سرتها
وتشبه قليلا الخاء
فقط اسحب بوسة الخال
من على... خدها

***

أكتب الحاء جيدا
هي بداية حلم جميل
هي خفقة جناح يهمّ بأن يطير،
هي رائحة حنّاء في كف
سائحة بلا دليل،
بخط متلعثم لا يهم
سنعتاد - يا صغيري - الخط
المستقيم.

***

أكتب الحاء جيدا
قد يحدث ان لا تحتاجها
لو يغير العالم رسمه
وتندثر.. الحرب،
يا ولدي ستحتاج الحاء كثيــــرا
لو تغير البلاد اسمها
وتصبح... الحب.
هذه البلاد .. لي ولا تسع حلمي
هذه البلاد... لي ولا تشبه رسمي
هذه البلاد... لي نجمة تتفتح
وهلالها يسبح.. في دمي
هذه البلاد... لي.

قـــــرار

في عمق هذا الشتاء
والمطر قضّت ليلتها
- ولا تزال - ترغي وتزبد
وأنا مطالبة هذا الصباح
بامتحان لتلامذتي
وعصفور الصدر يتـــــردّد،

***

أشدّ الغطاء على رأسي و... أشدّ
- من الغباء جدا

أن أترك دفء هذا الفراش

وحرارة هذا الجسد.

ذبــول

هذا الجسد المسجّى

جسدي

هذه التراتيل الحزينه..

النشيج الخفيض

لوعة الألم

صراخ الصبيّ.. لي

وأنا أنظر إلى هذا الحفل

ويتقاطر دمعي..

على جثتي...

أجمل حبّ

هذه البلاد ... لي

ولا تسع حلمي

هذه البلاد ... لي

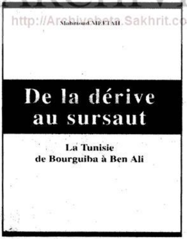
ولا تشبه رسمي

هذه البلاد ... لي

نجمة تتفح

وهلالها يسبح في دمي

هذه البلاد ... لي



أبــراج وأمـــواج

شعر : النوري قم

1ـ الحمل :

لا تلتفت إلى الوراء
سوف ترى ما لم تر
فأنت محمول وركبك الورى
وأنت فيهم ملك
يحلم أن يجمع كلّ الفقراء

2ـ الأسد :

ستكبر يوما أيا ولدي
ويسمق حلمك كالبلد
ستغرس أشجاره في رؤاك
وينمو وجودك في الجسد
ستحيا عزيزا وترقى
ويبقى طموحك عشقا
يناديك للأبد

3ـ الميزان :

عدّل قوانينك على الأيام
سوّ الدقائق التي تمضي والساعات
فالغد يأتي من وراء الأمس كالآيــات...
وأنت.. لا تدري.. إلام الشّمس
لا تشرق في الآت
وكيف تطلع فقط هناك في الفلاة ؟

4ـ الثّــور :

يحملك الضّباب
لساحل لا مرئي
يعشقه الشّباب
فلا تظنّن أبدا
الرّب شاء أن تكون
أوّل الأحباب
وأوّل الخطّاب
وآخر الذين قد فتحوا الأبواب

5ـ الجوزاء :

الوردة الحمراء في يديك كالبيضاء
تضحك من سهادك المفضوح
وفمك المفتوح
صار مزهرية
فلا تبح لامرأة
بغير حبّ جنّيه

6ـ الحوت :

بختك لا يسبح كالأسماك
السّعد لا يركض كالرّيح
ولا يطير كالحمائم هناك
الرّوح لم تنأ
أو تركب الأفلاك
فأمض بعيدا كالملاك
أكسر زنازين الرّدى
جاوز تخوم الكون

لا تحتف بالحزن

7ـ السّرطان :

الماء إلهام الوريد

الرّمل عشب البدن

فلا تقف

ولا تخف

داو جراحك بملح البحر والآمـــــــال

فليس في السّفر أخطار

وما في القدر الآتي سوى التّـرحــــال

8ـ القوس :

لا ترم قلبي بسهام اليأس

أعطني حياة أخرى

ساعدني وكن صديقي

فنحن إثنان على الطّريق

لا أحد يكره الآخر

إنّا معا.. كالنّور

يجتاح أبعاد العقول

فكن رفيقي

ها نحن نغزو المستحيل

9ـ العقرب :

أكتب عناوين القلوب

سمّ شوارع النّوايا

أدخل سرائر الهوى

أفضح دسائس الوشاة

وكذّب الخبايا

فقد تخونك الصّبابات

10ـ العذراء :

وصيّتي : كوني

حبيبة العيون.. كوني

عاشقة لقدك الممنون

فأنت يا عذراء روعة الدّنى

وطيب مكنوني

وحاؤه الأولى.. وآخر الحروف

وباء القلب الأحلى

في حبّ شاعر ضنين

وصيّتي : أحبّيني

وهبّي في عالم مجنون

11ـ الدلو :

البئر تلفظ بقايا السرّ

وأنت لست يوسف

ولم تكن جميلا

فانظر إلى وجهك تدرك

معاني الزّمن

وارسمه فوق المرآة،

ثمّ ألق بطيف السّحر في القـــــرار

ومرّ من خلف البئر

تنج من العسر

12ـ الجدي :

قدر عليك ركوب أحلامك..

فأســـرج فرس الحياة وعرّج

بجناح صبحك والفلاح

على غد لا يحرج

قدر عليك ركوب أيّامك

ووراءك الدنيا تموج وتهـزج.

هوى عمري

شعر : فيصل الصمعي

حبيبي يا هوى عمري ... فداك القلب والعمر
هواك في الحشا يسري ... كما بالوردة العطر
أأنت بالهوى تدري ... أم هل خانك الذكر
سناك بالهوى يغري ... وطال في النوى الصبر
ألا تذكر هنا كنّا ... صغيرين معا نشدو
ونقطف بضع أزهار ... على العشب ندا نبدو
كطفلين صغيرين ... نطير في السما نعدو
ودنيانا لنا ملك ... كما في ملكه الطير
حبيبي كيف أنساك ... وحلم منك يدنيني
ولا كنت غدا أناى ... ولا كنت ستنئيني
فنار الحبّ في قلبي ... تعذّبني وتصليني
ولكن رغمها يبقى ... بقلبي للهوى سحر
هنا بالأمس قد كان ... على الحبّ لنا عهد
أيغدو عندنا ذكرى ... ولقيانا غدا بعد
فإن قد رمت هجرانا ... فقلبي دينه الودّ
فلا أنسى ولن أنسى ... هواك ما بقى عمر
حبيبي ضعت من عمري ... فضاع بعدك العمر

انحصار الضوء والظلال

شعر : السيّد بوفايد

(1)

كطيور مهاجرة
يقفز صديقي بين الكلمات
والمعنى
يشرح نظريته حول الصداقة
يبرز الفرق
بين موجة غامضة
وموجة عاشقة
يحب البحر
يعرف أسراره
ومـــداه
كل أصدقائه غرقى
وحـــده
كطيور مهاجرة
يعود إلى منفاه

(2)

يتكوم داخل فكرته
ثمة كلام يهرب من فيه
ويغيب.............
ثمة عيون
وشفاه يترصدها
ثمة جسد يبادره
بالســـؤال
فيفر إلى لغة
جرحت حروفها أنامله
وأفضت به الى الذهول
يقينـــا
له ما يقول
غير الضجيج
وثرثة الكلمات

(3)

سينتظـــره
وجهها عند المساء
شعرهـــا
قميصها المعطر
ورد أهداه يوما
كلام لم يقله
وقبلة لم ينلها
سينتظـــره
حلم صغير في المنام
شجر ....
ومـــــاء
سينتظره كل هذا
لكـــــن
بعد فوات الأوان

(4)

كان المشهد مثيرا
بيديه فقأ عينيه
وصار أعمى
لا يرى في الدنيا سواه
لا أصدقاء له
لا امرأة يأوي الى ظلها
مســــــاء
يدخل وحيدا
مدن أحلامه المهترئة
يتوسد شهوته
وينـــــام..
ستزعجه الرؤى
ويفاجئه الخوف كلما أغفى
سيطارده «الأنا»
وينتهــــــي
كطير حلق منفردا
ثـم هــوى

(5)

يصغـــــي
كان الصوت قادما من القبر
رأى جثته ملقاة
وروحه جالسة في مكان
فسيـــــح...
تســــاءل
لماذا أنت هنا ؟
قـــالـــت...
مللت انتظار الموت
فسبقتك إلى هنا
سيخطفه الموت عما قليل
ويبكي عليه بعض الأهل
ومكــــان...
وصديق قديم
سيبتهج تراب الأرض
ويستقبله دود عظيم
سيمـــــوت
ويدرك بعد حين
انه كان ميتا
وبعث الآن
مــن جـديـــــد

عـــرس الريـــاح

شعر: ناجي الحجلاوي

للريّح بابان
باب الهواتف، تنساب من ثقب القلوب
من حلمها الخالي
من أضلاع نافذتي
كاللحن المجفّف في ثنايا البال
صفيرها، عطر البنفسج والليالي
ترتوي من تاجها الأقمار
طير النسيم يحطّ جناحه
تحت المرايا وفوق نافذة المقال خاطرة
تراءت من وراء الريح
نافذة «وأغصان الدّوالي» وباب المدى
باب لباب الهواتف دان
أول في المنازل
وهو في سرج الرياح
كالخاطر المحتال
سكن الخيال
النجوم سابحة
والعطر كالشعر تلبّد غيمه
حتّى إذا هبت رياح التّين
ترسله اللواقح في فجاج الطّين ماء
وتعيده الريح الرّخاء خرافة
كالفارس الليلي
وسبيله الدّوّار
في فلك الحروف

ريح وإعصار وأصداء الكهوف
لا شيء يبقى كالأماني
والذي فيها عيون سرمديه
في فجاج الماء والأحلام
ترتاد الشوارد تيهها
وتحيط أسوار المدينة
بالأساطير الحزينة
وبقايا المطلق الليلي
عشق وثراء وبقاء
في مياه العمر والريح النديه
يا أيها الإعصار
رفقا بتابوت النهار
هذي تلابيب الصدى
خذها على حين ابتداء
ولتكن أنت النهار
فيك ما في الريح من ماء ونار
فالذي يشكو شجاه لصداه
يشتهي الطين والحلم الذبيح
رافع غيماته فوق أبواب الضريح
مثل نصف الماء
فوق نصف الطين
إعياء مريح
ها هنا عرس الرياح
قوس وناقوس وراح

النهر الخالد

شعر : الحبيب دربال

الإهداء : إلى كل أمّ. . . تقديرا واعترافا

ما أورع عيدك!.. ما أروع،
يا بسمة عطر يتضوّع
يا نجمة سعدي إذ تطلع
يا نغمة حبّ تهديني

* * *

أمّي... أمّي،
يا أعذب لفظ أسمعه
فأنا المفتون بهذا الإسم
سأظلّ العمر أردّده
في عزّ الصّحو.. أو النّوم.

* * *

أمّي.. يا أجمل أعيادي،
يا حضن الدّفء.. وحضن الأمن،
فأنا.. لولاك غريب الدّار،
كثير الشكوى، جمّ الحزن،
ما أرحم قلبك يا أمّي !

* * *

سيّدتي.. يا أفضل أمّ،
يا أعذب إسم.. حلو الطّعم،
يا دوحة حبّ تحميني،
من لفح الرّيح، وطول الغمّ.
سأغنّي.. أمّي، وأردّد :

ما أسعد عيدك ! ما أسعد !
عيد يمضي.. عيد يولد
يا نبضة فجر التكوين

* * *

أمّي.. يا أحلى الأسماء،
يا آخر جنّات العمر،
دعيني الآن أقبّل وجهك آلاف المرّات،
دعيني
ضمّيني، ثمّ هبيني أجنحة
كي أغدو طيرا منطلقا..
نسرا لا يخشى الأنواء.

* * *

أمّي.. يا أروع إنسان،
خلّيني - مثل الصبيان -
أتملّى وجهك في العيد،
ألهو.. أرسم بالقلم الخزّان(1)
أسرابا تشدو..
وفراشات زاهية الألوان،
إذ أهديك قلائد فلّ أو ريحان،
تخضرّ بساتيني،
تتحوّل فاكهة،
وحدائق ساحرة.. ونشيدا :
ما أروع عيدك !.. ما أروع
يا بسمة عطر يتضوّع،
يا نجمة سعدي إذ تطلع،
يا نغمة حبّ تهديني.

(1) القلم الخزّان : هو القلم الذي يحوي في قصبته كيسا من المطّاط مملوءا حبرا، فكلّما ضغط الكاتب على الورقة بريشة القلم، سال الحبر باسترسال في قناة لطيفة إلى الورقة.

هسيس السادسة مساء

شعر : محمد الأمين الشريف

كل يوم كالديدن
يأتي على نحو من الدقّة والانضباط
يطرق على عصبي
هسيس السادسة مساء.
أتماسك إلى حين
وكمن لا يعبأ
أتجاهله متفصّيا
من املاءاته مشبوهة المرام.
فيرسل موجة من صداع
تنبّهني أن لا حول لي
وعليّ أن أتهيّأ
لقضاء أحلى مساء.
أتجاهل ثانية نزقه الترقّي
أتوسّل بأبي العتاهية
وأبي نواس
لكي يتركني ولو مرّة
أستريح
ومسلما أنام.
فأنا ما عدت أحتمل
غيّ هذا الإيقاع.
- أهذا الذي تبدى
تردّدا أو إغراء ؟
- بل هو شعور بالعيب والشيب
وقد بلغت من العمر..
- وهل عالج العيب غربتك
أيها المكابر الحيران ؟
ويظلّ يهتف بي
وجع السادسة مساء .
يوشوش في أذني..
إلى أن يقودني إلى الحان.
بتحيّة المتلهّف المشتاق
أدنو من المقصف
وأطلب لي جعّة
بل جعّتين
أروي بهما ظمئي
فيبدأ بالتغيّر حالي.
فأركن إلى ركن في الخمّارة
وأظلّ كلّما فرق الكأس
أستجدي النادل
أن يطفيء بنجيعه هذا الظمآن.
عليّ بثالثة
ورابعة
وخامسة
وسادسة
إلى أن يدركني الاتّزان.
وقد تداويت بالتي كانت هي الدآء.

فتقودني هواجسي لبغداد
ولبنان
والسودان
وفلسطين
هذا المرض العضال.
وتارة استحضر فعال المتكالبين
على السطوة
واللصّوص وأبناء الكلاب.
والجاحدين الذين لا يعترفون
لفاضل بفضيلة أو إنجاز
وتارة تصطفّ أمام عينيّ تباعا
صورُ بعض الغانيات ممّن عرفت
فيختلط الحنين بالشتائم والبصاق
وتارة يقطع صمتي فضوليّ
يطلق تقتقة تافهة
تضغط على قلبي
فيضيق صدري ويشلّ لساني
وفجأة يلاحظ امتعاضي وغيظي
فيغادر دون استئذان
وتارة تخطر إلى مجلسي
إحدى بنات الليل
لتطلب سؤلة أو جعة
فيرقّ لها خافقي
فأناولها مأربا دون حاجة لثواب
وحين تبدأ بنشر فحيحها الشبقيّ
أنهرها
أن أذهبي
أذهبي

أنا لا ...
لم يعد لي متّسع للزّ..
فتمضي وبين شفتيها
ألف لعنة وسباب.
ألا ترون كيف يصير المرء
بين الأحياء
أروع مشروع للرثاء.
وجع السادسة مساء
في تهكّم وافتراء
ـ أرى يزداد وقارك
آه ! ما أروع تجلّيك
وأنت على هذه الحال.
ـ اللّه كم تبدو جميلا !
بشرب عشرة جعآت.
أيها الوجع السداسي
أنت تئنّ في شكل صداع..
لا تراض إلا بكؤوس وأقداح
أيها النادل
إئت بسابعة تلهمني بطريقة..
استقدم بها النيل..
أو دجلة..
أو بردى..
أو مجردة..
أو أبا رقراق.
لأغسل ما تراكم في خاطري من إحباط.
أظلّ
أشرب
أشرب

أشرب
فيزداد ابتلائي
أنادي بالنادل
أن يأتيني بثامنة مصقّعة
لعلّي بشربها تتكرّم
بصحبتي إلى الشعانبي
أو قاسيون
أو الأطلس
أو أوراس
وتساعدني على اعتلاء
أعلى قمة
أسائل من عليائها اللّه
عن آتي هذه الأمّة السراب
هذه الأمّة التي أضاعت سمتها
وألقت برشدها للضلال.
أمّة أضاعت اصطرلابها
وما لها من مشعل يضيء
وجهتها الصواب.
يأتي النادل بتاسعة وعاشرة
دفعة واحدة
وهو الذكيّ الذي يفهم
مقدار حصتّي من هذه الآفة الصفراء.
اسكبهما في الكأس
إلى أن يفيض زبدهما
ويتناثر حببهما
كتناثر شهداء
هذه الأمّة الخرقاء.
يهرع الدمع من لحاظي
ساخنا وسخيّا
فأشاهد عبر السائل
الجثث المشوهة
مثخنة بالدماء
والسبايا المفحمة
المغدورة الأعراض.
وأنا زستمع إلى توسّل
نداء شيوخ
وصراخ نسوة وأطفال
ما لهم من معتصم
فأصرخ في صمت
ويلهم ويلهم يا عراق
وفي أوج النشوة تعتريني
لحظة صحو وصدق
تجعلني أتساءل ماذا عساني فاعل
أمام هذا الخراب ؟
أفرغ الكأس
وقد هزمني السكر
أتقلص كالحلزون تارة
وتارة أراني مسجّى
مثل نيرودا
ولوركا
ولوممبا
وملكوم إيكس
وكبرال.
أراني مسجّى
أراني مسجّى...

رغبات

شعر : إدريس علوش (المغرب)

رغبة الخواء

في استمالة دبيب الوقت
الى ساحة مكتظة بزرقة البهاء
انتصبت كقصب يتهاوى
جوار رصيف عار
من ولاءات الغيب
وبخطى تشبه الرائحة
ظلت استعارات الحكي
تغازل وردة الغبار
ومكنسة الهواء...

رغبة أخرى

في امتلاك الطيف
أفصحت لقيض الظهيرة
عن عرق يفيض في القميص
وعن حاسة تفر من العياء
وعن أشياء تهدهد العدم
وعن عبق قصيدة تأسر
صورتها في جرح المعنى
وتأبى ركض القوافي...

رغبة الحلم

في إستدارة النيزك
نحو ساعة مثقلة بالدوار
ارتجفت لرقص الأشباح
في حضرة شرود الموسيقى
وتيه القربان

وانشرحت لسهاد يليق
بانحناءات المنام
وشكل الرؤيا...

رغبة الليل

في دحر أوتار غسق
يهيم في قاعات الظلام
ينشد تجاويف الهجير
ويحتفي بفراغ الأمكنة
كأنه يفك أزرار النهار
ويعري الحقيقة من ألوان زائفة...

رغبة السفر

أرخبيلات الجزر
محاذية لمغاور الروح
حد التماس والتباهي
كانت كتابا منشرح الحواشي
ومدنا عصية على الأبواب
دهشة العين كانت الدليل
للإفصاح عن مسالك متربة
بعناقد المجهول
وكانت المدن
وكان السفر
وكانت الرحلة
وكان الكتاب
ونهر الإكتتشاف لا يزال
ينهل من فيض الأسئلة...

رغبة النسيان

شيء آخر مختلف
عن عطب يحدث في الذاكرة مرات
لكن دون أن يأبه لذكرى منفلتة
من رماد العمر وتضاريس الماء...

الولد العاشق والبنت النيلية

شعر : عزت الطيري (مصر)

رذاذ أليف
وموج خفيف
وبنت خرافية السحر
مجلوّة كالحرير
على ضفة النيل
تسرد للنيل أحوالها
وتغمس أقدامها في المياه
فيرتعش الماء
تنبت فيه الزهور
فيهمي ظلالا
حلالا
ويسأل في حذر ما لها ؟
وتكشف عن مرمر دافق
وقوارير لؤلؤ دافىء
ومواعيد من ترف، وذهول
أبى أن تواصل
أوصالها
فأوصى.. لها
بمزيد من الزّبد الشاعريّ
وأوصلها
كي تصول وتلقي أثقالها
وتسرق من تمرها
...... نخلها

....
....
هو النيل يخلع أمواجه
ويلبس في خفة أمواجها
ويغزل في نوله غزلهـــــــــا
ويبنى على تلـه ...تلهـا
ويلقى على جرحه...
خـلّـهـا
....
....
رذاذ مخيف
وموجٌ عنيف
وصـب نحيف
كناي، لها... سها
وانتهـــــــــى
على بعد صفصافتين اثنـتيـــن
على ضفة النيل
يشرح للنيل ز لــزالـــــه
ويرنو إلى البنت يرقبهـــــــا
ويبصرُ من نصفها كلّها
ويمضي ليشهد أهوالها
....

* من نشرية الاتحاد الإلكترونية

تصاعد الياسمين كالرصاص

شـعـر : بلال المصري (لبنان)

كنت أتخيّل النعاس على هيئة فرس
كهذا الرمش الذي يرتجف
كصورة عارية
كما تغرز امرأة أظافرها في ظهر الرغيف
أو كما يهبط الظلام
نحيـــلا كاحتمال الفرح
كموجة من السنابل
أغرقت مراكب الأمل
والشمس السّاطعة
لا تعرف لمـــاذا تـجـــــيء ؟

* * *

ركض البحر كطفل صغير
خائفــا ... مندفعــا
كمن يطارد فريسته بانياب من زبد
على فرس أسود ابتعدت الشمس
واتسع الكون كغشاء امرأة عـــــذراء

* * *

كنت أتخيّل النعـــاس فانحني فوق العتمة
مثل ماسح الأحذية
أمسك بها بكلتا يدي
وأكنس النجوم بفرشاة من شجرالحديقة
فيغني الصمت في صمته

ولما عضت الذئـاب أطراف الليل
صـاح الليل
قفز العاشق خلف سـور الحديقـة
تصاعد الياسميـن كـالرصـــــــاص
ففررت من ظلـي

* * *

كنت أتخيل النعـاس
والوسادات الليلكية دائمـات القـــلق
تشـع الأسئلـة
مثل أعواد الكبريت وتنطفيء
فهـذا اليـوم فـاقـع كلون السـاحـات
ضحكة سقطت من جيبه علـى عجـل
بعد أن ساد الصمت كل المكان

* * *

في آخر النهار... أخسر حلمي
اتباهى بخطاي
تدخل الشمس النفق وتجتازنـا الفصـول
وهذا المطر يهدأ
يـــهـــدأ
يعمّ الهدوء المكان...

* من نشرية الاتحاد الإلكترونية

طفولة آدم

شعر: خالد خشان

«كم هي بعيدة طرق الطفولة المعبدة... كم هي قريبة طرق الموت...»
(جان دمو)

-1-

من ثقب رصاصة في القلب
تركته لي الحرب
انصب بؤبؤ العين
واتركه في حقول روحي
يا لروعة روحي
طفولة بعيدة
يلفها قوس قزح وتمازجها الفراشات

-2-

وجهي ألف الحروب
ووجهك ألف العصافير
تمرين على قامتي أسوة بالشظايا

-3-

من أبواب الطفولة المغلقة بوجوهنا
إلى قمة المنحدر
متراصة دروب أعاليك
أيها الفرح

-4-

لقد اطمأنت أطرافي وقلبي
إنك تنتظرين
بزوغ آدم المعلق في صليبه
قد تكونين مسكونة بالوهم
وقد تكونين الريح التي داعبت الصفصاف
يوما وألقت الطفولة بالنهر
وبقيت أبحث بلا طفولة عن الطفولة
طفولتي كانت بحجم القمر
لكن الحروب صيرتها قنبلة يدوية

-5-

أجتر السجائر وتجتر الأمنيات سنواتي
سوف أنام بعين واحدة من شدّة الخوف
وتلتهمني أقاويل المقاهي
فجسدي مثل القصبه تنحني للرياح

-6-

تنحدر النار من نسغ أسلافي
أغلق النوافذ المطلة على المقبرة
أتوسل بالباب أن يتريث قبل الرحيل

-7-

احرقني بنار التوبة
ثم انثرني في وديانك و ر د ا
يبارك قطف يديك
أو علقني نجوما في سمائك

* من نشرية الاتحاد الإلكترونية

-8-

يا شجري الراكض نحو الذبول تمهـــل...

ســأقــف في المنعطف ريثما تمـــر

ســأرفـع قبعتـــي لأحيـــيـــك بدمعـــة

-9-

كل دروبكـــم تؤدي إلى جسدي

فمن وضع علامات التوقف وأجل الوصول ؟

-10-

انهض من موتي أسحب جثتي خلفي

وأعلق عيوني عـــلـــى بوابة الأفـــق

فقد أينعت زهرة الموت فأين قاماتهــم ؟

-11-

بعيـــدا طارت العافيـة وتركتنـــي وحيـــدا

أتعلّـم الصبر على بساط من مسامير

-12-

سأسكر حتى أعثــــر على صحوي

تُـرَى من أيقظني من صحوي ؟

وصب فوق رأسي نهارات لا تنتهي

-13-

جزم القلب أن لا يفتح لأحد

لكن الرسائل أذابـــت ألواح البــاب

-14-

النجوم البعيدة كدت ألمسها

سكبت فوق رأســي سنين من تعب

-15-

أقصـــى مـا ابتغيه

أن أتــرك قلبي على بابكـــم

يتدلـــى كنجمة صــــبــــح

-16-

القــــاع سبخ الدمعة

ونحن المقذوفون نحو القمة

لا ندرك ألفة الذؤابات

فنهطـل الى حنين سابق

جنوبا ... جنوبا نحو الطفولة

-17-

لم يبق منهم إلا أنــا

لم يبق مني إلا الشوق

-18-

حينما قــررنـــا أن نبدأ من الصفر

بدأنا من الحانة وهامت أرواحنا بخمرتها

فنسينا كلّ الأرقام وتشبّثنا بالصفر

احتضناه بكيـنـــــاه

لكننا لن نغادره أبـــدا

-19-

أعــــرف أن طائرات (الأباتشـــي) لا تخطىء

لذلك أنا أبحث عن اسمـي في لافتات الموتى

كل يوم...

وآه لو أن الشيب كان بألوان قوس قزح

لكانــت رؤوسنـا أحلـى الحـدائـق ...

أنكيدو 2

شعر : صالح الطرابلسي

الفتى ...
يوم أطلق صيحة في وجه هذه الدنيا،
قالت له الأرض :
مثلما أهديتك طينتي جسدا،
ها أنني أعدّك الآن
في تربتي رحما !
بين الطّينة والرّحم دروب شتّى !...
مفعمة بالمصاعب،
تلك الدّروب...
وللزّمن
على العمر هنا سطوة،
إذا لم تقتله يقتلك !

* * *

قال الفتى : يعلم آدم فيّ
أنّه جاء إلى الدّنيا موشوم السّاعد
بالخطإ !
والتي تأتي، ولا تأتي،
أعلم جيّدا، أنّ الطّريق إليها
معبّدة،،،
بأشواك من جراح...
وخزها يدمي !...
(أنكيدو) أنا، وشغلي طلاع الثّنايا،،،
نحو تخوم المستحيل، سوف أسعى،
كي أعيد تفّاحة الوصل إلى
فردوسها في الجنان !...
(أنكيدو) أنا سأخترق الدروب،
كلّها كي أغرس في ثرى الأرض وردة
ضوعها يعبّ بالخلود !

* * *

قالت الأرض :
هذا الدّم القاني،
هو ذا يرتدي قبّعة راعي البقر !
فما مصير الحمامات في القفص؟
والعصا صارت هشّة ؟!
لا من يتوكأ عليها ولا من يهشّ...
هل صحيح، سقط الدّم القاني،
في حقيبة الشحاذة ؟!
هل صحيح،
أوقع الدّبّ سرب الحمام
في نتوءات القمامة ؟!

* * *

يا ذا الشّفق المترامي على
مدّ الأفق الرّمادي،
ما شكلها الشّمس التي
تخفي تباشيرها
خلف هذا الغروب ؟!

(أنكيدو) هو الباحث عن نبتة الخلود، في ملحمة قلقامش

ما أشعّتها حين ضوؤها يستبـــاح ؟!
ما حرّلظاها، ومــــا...
سحر النّدى في ذاك الصّباح،
غامض حتّى هذا الفجر
الذي يرتديه العالم وشاح
حالك في الغموض.
أيّهذا الفتى،
أثّث تحاليلك
التي قد تهالكت على وقع تحجّـرها !
قـــــم... لا هوان، ولتصنع
دربك الماضي إليها،
قم، واستفق يـا صـاح !
* * *
نهض الفتى،
يرتدي من بساطته وقـــارا،
ويمشي في المعترك، ملتحفا برداء رؤاه !
يمشـــــي... مقتفيا سنين العمر موتـا،
أو حياة !
الكلمـــات...
تنسج بُردها، من ظمإ الماء في جلده،
في كفّه قلبه...
يحمله شحنة إحساس !
عـشـقـــه... يزرعه دفاقا ،
ينبض في شريان النّـاس !
سألته الأرض عن معنى الصّباح فقال :
أن ينهض الكون... بعد سبات الليل،
محتفيا، بوردة الفجر متفتّـحة...
تشرق عبقا، تهديه للـــــورى
باقـة من ضيـاء !
عطرها الفيّاض مباح !
ذاك هو الصبّـاح.
* * *
أن يلفظ الجسد العليل، صـوتـــه...
في كفن الرّماد،
لتشتعل الرّوح فيه، شهوة أخرى
تتأجّـج بالحياة !...
مفعمة بالصّلاح وبالفلاح !
ذاك هو الصباح.
* * *
أن تسند الأيدي للأيدي في عزم،
كي تنشىء في الورى
للحـــبّ... بيتا متين الأسّ لا تهدمه رياح
ذاك هو الصباح.
* * *
أن نكون كالطّير...
نملك الملكوت والأرض... دون تسمّـم !
نملأ الدنيا أغاريد، دون نشـــاز !
ونؤثث دمار الكون تعاليم،
فوق الذّرى نرفع الرّايات خـفّـاقــة...
بنبض محبّتنـا... وباختلاجات السّلام،
في ترانيم الصّداح،
ذاك هو الصباح.

قصائد للأطفال

شعر: الحسناوي الزارعي

بهجـــــــة

ذارت مســـاء رائـــق والمـــرج زاه في حبور
هـــبّ نسيم منعـــش والجـــوّ فـــاح بالعبير

* * *

فقـــاقت الدّجـــاجة فـــي قنّها الأمـــين
والعـــشّ حصن دافـــىء فـــي حصنـــه حصين

* * *

وبالجنـــاح صـــفّقت تـــمايلـــت وحلّـقت
وقـــد بـــدت بيضاتها مـــن تحتهـــا فابتهجت

* * *

صاحت وقالت: «فرحتاه»! شكـــرا وحـــمدا يا إلاه
غـــدا فراخـــي تظـــهر مثـــل هـــلال في سمـــاه»

* * *

وبعـــد جهـــد الاحتضان وبعـــــد أن آن الأوان
البيض هـــا قـــد فقس ودوّى لـــغـــط فـــي المكان

* * *

جمـــع الفراخ قـــد أطل مرتديـــا أبهـــى حـــلـــل
موحـــدّا فـــي شـــكله ولونـــه.. كالبـــدر هـــل

* * *

أحـــسّت الدّجـــاجة بنشـــوة وبـــآفتخـــار
ثـــم مشـــت مختـــالة وحولهـــا يشدو الصغـــار

غيـــــاب*

هـــا رسل الرّبيع أقبـلت أبي
في موكب من أعذب الأنغام
ووحـــده الخطاف غاب يا أبي
وهو رسول الحبّ والسّلام
مشتــاقة لشدوه الظّريف يا أبي
مشتاقة لوجهه البسّــام
كـم يـا أبي في راحـتي أطعمته
أشبعته بأمتـع الطّـعـام
كـم يا أبي سقيـته حتى ارتـوى
وهو الكليل المرهق والضّـامي
هل كـدّه التّرحـال يـا أبي
ووحشـة البـراح والظـلام ؟
أم صــار يخشـى العجز يــا أبي
وسطـوة الريـاح والغمـام ؟
أم يـــا أبي قـــد أغضـــبته
بكلمـة من موجـع الكـلام
أو هـــمسة أو لـمسة عـفوية
قـد حرّقـت يا أبـت مرامـي ؟
أضنتنـي الأشـواق يـــا أبي
أتعبنـي يـا والـدي هيامـي

* تعجبت إبنتي أمـل ذات يوم من غياب الخطاف بالمنزل الجديد الذي سكنّاه «في باب سعدون» وهي التي تعودت على مرأى هذا الطائر اللطيف في منزلنا السابق.

أمّنا الطّبيعة

يا أمّنا العزيزة يا أمّنا الطّبيعة
العفو إن أسأنا يا أمّنا الوديعة

هذا حفيف الشّجر نادى بديع الزّهر
مداعبا شذاه
والغابة في خفر ناجت شعاع القمر
والطير في سماه
معطاء رغم بخلنا رفيقة مطيعة
يا أمّنا العزيزة يا أمّنا الطّبيعة

كم خالف النّهج السّويّ معاند وفوضويّ
ملوّنا حماك
وأفسد المرعى النّدي والوادي والجوّ النّقي
مشوّها بهاك
معطاء رغم بخلنا رفيقة مطيعة
يا أمّنا العزيزة يا أمّنا الطّبيعة

جمالك لنا شفاء صفاؤك نعم الصفاء
يا ملجأ ظليل
فضاء عيش وهناء معين رزق ودواء
للمرهق العليل
معطاء رغم بخلنا رفيقة مطيعة
يا أمّنا العزيزة يا أمّنا الطّبيعة

دعوا الطيور تغني

ـ اللوحة الثالثة ـ

مسرحية شعرية بقلم : علالة القنوني

المشهد الأول

الطيور متجمّعة في كهف هروبا من الصيّاد

الغراب (للحمامة) :

هكذا سيدتي الحمقاء قد كان المصير

أن تقضي العمر في كهف حقير..

أين ما قلت عن العدل المكين

ورجال وقضاة منصفين ؟!

(يواصل في سخرية)

«إنّ في الأرض عدالة»

هكذا قلت وكنّا أغبياء

عندما أقنعتنا بالثقة العمياء

في سخف القضاء

وذهبنا ثم عدنا خائبين

بل تركنا بلبلا في السجن مهموما حزين

«إنّ في الأرض عدالة»

قول ضعف وخضوع ونذاله

البومة (ضاربة كفّاً بكف) :

خيبة واللّه كانت أي خيبه

الهدهد :

يا حمامه

لم تصيبي عندما أقنعتنا بالعدل نصرا

يبلغ الشاكي مرامه

القطاة :

جرحت منّا الكرامه

وجنينا طعنة في القلب من بعد الندامه

الحمامة :

نحن قمنا بالذي يرضي الضّمير

بسطوا الأيدي لقتل

نبسط الأيدي سلاما

الغراب :

لو قتلنا ذلك الصيّاد

لاستراح الطّير من داء خطير

الحمامة :

لو فعلتم لغزاكم كلّ من في الأرض غزوا

ورأيتم بدل الصيّاد ألفا

وسقطتم نازفين

دمكم قتلا وعسفا

اللقلق :

أو ترضين بأن نفنى ولا نبدي حراك؟!

أم ترانا قد خلقنا للهلاك ؟!

العندليب :

بئس هذا العيش عيشا إن سكنّا خانعين

الحمامة :

إنّ أرض اللّه كبرى

فابحثوا عن أيّ ركن فيه نحيا سالمين

الغراب (في غضب شديد) :

أصمتي قدّمت للصيّاد أكله

وجلدت ألف سوط

وقتلت ألف قتله

ينفجر بكاء ويأخذ حفنة من التراب ويقبلّها

الغراب :

هذه الأرض لنا

نحن فيها كجذور في الثّرى

لو نقلنا لمكان غيرها،

ذبلنا ونثرنا كالهباء..

إنّني حقّا ضعيف

ليس لي نار بها أجلي الطّغاة

غير أنّي في سبيل الأرض،

أعطي ما تبقى من حياة

اليمامة (وهي تواسي الغراب) :

يا غراب

نحن قوم ضعفاء

إن سعينا في التراب

سنموت بحجاره

وإذا طرنا فرارا

أسقطونا برصاص من سماء

الغراب (في ثورة) :

نحن قوم جبناء

ليس ضعف المرء عارا

إنّما العار غباء

لو نسينا خوفنا يوما وكنّا عقلاء

واتحدّنا، لأنقلبنا قوّة

ترهب أقوى الأقوياء

(بينما الغراب يتكلم، يدخل صقر، تتحرك الطيور خوفا وتهمّ بالفرار فيشير لها الصقر بالبقاء)

الصقر :

لا تخافوا قد سمعت كلّ شيء

وفهمت أنكم في الأرض دوما

لقمة الصيّاد إن رام الغذاء

رقّ قلبي وتذكرت الإخاء

أو لسنا إخوة رغم الذي ما بيننا من اعتداء..

لي رأي فاسمعوني

في الجبال الشمّ نسر ورع عات حكيم

رافق الشمس طويلا واعتلى أعلى النجوم

وهو إن قدم رأيا

قدّم الحلّ السليم..

فأصحبوني قد يكون النّسر هذا

بالذي نجهله نحن عليم

الزرياب (للصقر) :

أيّها الصقر أهذي خدعة

أم أنت بالطّير رحيم ؟

الزرياب (مخاطبا الطيور) :

لا نسير قبل أن نأخذ عهدا

أننا نمضي جميعا

ونعود سالمين

الصقر :

قسما بالخالق الأعلى العظيم

أنّني للخير أسعى وبكم قلبي رحيم

المشهد الثاني

على قمة جبل، نسر بجانبه صقر وأمامهما الطيور

النسر (مخاطبا الطيور):

خلق اللّه الطيور

لسموّ وانطلاق

لا لسجن وآنحباس وآختناق

في جناح الطّير أي

لذوي الألباب إن ضلوّا الصّواب

ولهذا لا ترى للطّير سنّا

أو ترى للطير ناب..

الغراب:

ليتنا كنّا وحوشا

نملأ الدنيا خراب..

النسر (للغراب):

يا بنيّ

يكتفي الطّير آفتخارا

أنه للّه دوما في آقتراب

العندليب:

أو مكتوب علينا صيدنا هذا في كتاب ؟!!

النسر (مخاطبا الطيور):

آطمئنوا، كلّ صعب له حلّ

وشورى يبلغ المرء الطّلاب

(ينظر إلى الصقر ويخاطبه):

النسر:

ادع كلّ الشيوخ

نبحث الأمر بجدّ دون خلط وآضطراب:

(يخرج الصقر ثم يعود مع مجموعة من النسور والصقور والحدآت، يتجمّع الكلّ حول النسر)

النسر:

يا شيوخ

بيننا اليوم طيور

قد أتونا سائلين العون منّا

آخرجوا من أرضهم من غير ذنب

تحت طلق النّار من أيدي الطّغاة

قدّموا شكوى لحكّام قضاة

فأباحوا دمهم

وأدعوا أن الطيور

خلقت دوما لقتل وآصطياد

وغذاء للعباد

فأنظروا كيف يكون الحل يا أهل الرشاد

نسر أول (لكبير النسور):

نزلوا أهلا وسهلا فليعيشوا آمنين..

الحمامة:

سيدي، ما نحن جئنا لاجئين

إنما نحن أتينا سائلين..

نسر ثان (يقاطعها):

قد يهمّ الأمر هذا الحدآت

تخطف الأطفال أبناء الجناة

عندنا يبقون في السجن رهائن

فإذا ما طلبوهم نتفاوض

شرط أن يقلعوا عن صيد الطيور..

الحمامة (تقاطعه):

لا و لا،

ما ذاك حلّ نرتضيه

رحمة يا قوم بالأمّ التي تفقد ابنا

رحمة بالطّفل من غير ذويه..

نسر ثالث:

نرسل العنقاء من أعلى
تدكّ الأرض دكّا بالحجاره
ونغطّيهم وبالا ونغذّيهم مراره..
الحمامة (تقاطعه) :
أيّ حلّ سيّدي هذا الذي
قد يورث الكون دماره؟!
نسر رابع :
فإذا طير أبابيل تدوّي صاعقات
تجعل القوم آندثارا
الحمامة (تقاطعه) :
لا، بمن أرسى وأجرى
لا نحبّ
أن نرى الأكوان عصفا
والردّى فيها آنتشارا..
النسر (مخاطبا الشيوخ) :
لو قصفنا، قصفونا
ثم نفنيهم ونفنى
كلّنا في الحرب لا نجني سوى
ثمر الخساره..
لي حلّ فأسمعوني
هو صعب إنّما يؤتي ثماره..
كلّ يوم ألف نسر تحمل ألف أفعى
ألف صقر تحمل ألف فأر
ثم نرميها سموما ووباء
هكذا لا يجدون
أبدا وقتا لصيد
غير صيد ما رميناهم به من كلّ داء
الحمامة :
لهف نفسي سيموت النّاس طاعونا وسمّا
النسر (للحمامة) :
لا مناص من دفاع وآضطراره
النسر (مخاطبا الطيور) :
منذ هذا اليوم لا يصطاد طير حشرات
أتركوها وستغزوهم بلسع وطنين
فيهيمون حيارى
بين شكوى وأنين
فالأفاعي انتشرت في كلّ درب
وبفئران تصبّ الداء صبّا
وبعوض وذباب
سوف يأتون لنا من غير شكّ صاغرين
فإذا ما جنحوا للسلّم نجنح
وإذا ما آستكبروا
فالخطب عند الكبر أفدح
الصقر (في إعجاب) :
أي نعم والله هذا الرأي رأي العاقلين
النسر :
فآستعدوا ولتسيروا لطغاة الأرض
سير الظافرين
واندروا أنفسكم نصرا مبين
الطيور (في صرخة فرح) :
عاش عدل المنصفين
عاش عدل المنصفين
الزرياب (وقد أخذ يغني وتتبعه الطيور) :
يعلو الحقّ ويعلو
بالغا أعلى السّماء
نزهق الباطل سحقا

ثم نذريه هباء.

لا تقل هذا ضعيف

لا تقل ذاك وضيع

ربّ نار من رماد

وكبير من صغير

المشهد الثالث

في القصر ملك على عرشه وحوله وزراؤه: كلّهم تبدو عليهم الحيرة والذهول.

الملك :

رجمت أرضنا رجما بالأفاعي

كلّ شبر فيه أفعى تتلوّى

وزير الدفاع :

نحن نمشي في النّهار جزعين

وإذا نمنا صحونا صائحين

أصبح الخوف وباء العائشين

وزير الصحة :

إنّ داء الفأر أفظع

عندما يصبح طاعونا مبدّد

الملك :

ليس من فرق لموت

بين سمّ ووباء

موتنا – إن لم نجد حلاّ –

سريع ومؤكد..

(يدخل الحاجب على وجهه علامات الخوف)

الملك (للحاجب) :

ما وراءك ؟

الحاجب :

سيدي، في القصر أفعى

الملك (في غضب) :

فأقتلوها...

الحاجب :

قد قتلنا وقتلنا

نحن بالمرصاد لكن

لسعة الأفعى خطيره

ووليّ العهد..

الملك (يقف وقد تملّكه الرّعب) :

ماله ؟!!

الحاجب :

قلق يا سيدي يأبى البقاء

وصغير في آشتياق لانطلاق

الملك (يجلس وقد تنفس الصعداء) :

الملك للحاجب :

أطلق الويل عليك والوباء

احرسوه واجعلوا حوله جيشا

أين يمشي

وأناسا يتلفون الحشرات

(يشير إلى الحاجب فيخرج)

الملك (للوزراء) :

ما الذي نفعل في هذا المصاب؟!

وزير الأمن :

إنما الخطب جسيم

وحمانا في آضطراب

وزير الصحة :

ما رمانا كان أدهى من خراب

الملك :

إنني أنشد حلاّ

لا رثاء وآنتحاب

الحاجب (يظهر من جديد ويخاطب الملك) :

الحاجب :

رجل يا سيدي قد جاء يسعى

ولكم آت رسولا

الملك (دون اكتراث) :

دعه يذهب

الحاجب :

سيدي قد قال : ان الأمر هامّ وخطير

ويخصّ ما دهانا من أفاعي...

الملك (يقاطعه في آهتمام) :

دعه يدخل

(يدخل الرجل ويؤدي التحية)

الملك :

هات ما عندك وأسرع

الرجل :

جئت من عند الطيور

وزير الدفاع (للرجل) :

أيـهذا لا تضيّع وقتنا

أيّ دخل للطّيور؟

الرجل :

ما رأيتم من أفاع زاحفات

في آنتفاض وهدير

لم يكن غير آنتقام الطّير

آت من سماء كالسّعير

وزير الدفاع :

أيّ طيرهذا من كلّ طيور ؟!!

الرجل :

النسور

والصقّور

الملك :

ولم... ينتقمون ؟

الرجل :

قد أبحتم صيدهم

وآستسغتم أكلهم

فأعدّوا ما استطاعوا

من سيول القتل للباغي هلاكًا..

وزير الأمن (يقاطعه) :

نحن لا نصطاد للأكل نسورا وصقور..

الرجل :

كلّها يا سيدّي من جنس الطّيور

وزير الدفاع :

قل لنا من أخبرك ؟

الرجل :

أرسلوني ولكم جئت نذيرا..

أعلموني أنّهم في كلّ يوم

يقذفون ألف أفعى

ثم بعد الألف أفعى

ألف فأر

ثم قالوا :

إنهم قد يغرقون الأرض آفات مبيده

يخرجون الناس قسرا مثلما أخرجتموهم

ويسودون الأراضي بعدما كانوا عبيدا

ثم قالوا :

نحن طير قد خلقنا للسّلام

وإذا يوما ظلمنا نسحق الجاني آنتقام

الملك :

حسنا، بلّغت فأذهب

(يخرج الرجل)

الملك (في تعجّب) :

هكذا يا ساده

تأتينا الأخطار من كلّ الطّيور

ربّما يوما رأينا غنما

تملأ الدّنيا شرور

لا نقل هذا ضعيف

لا نقل ذاك وضيع

ربّ نار من رماد

وكبير من صغير

عجبا للعنف تأتيه الطّيور !!

وزير الدفاع :

سيدي، نسحق كلّ الطّير سحقا

وبذاك نستريـــح

ستراها قد تلاشت

بين فان وجريح

وزير الأمن :

كلّ من في الأرض طير

كم سنفني من طيور ؟!

لو قتلنا كلّ يوم ألف ألف

لسقطنا تعبا مثل الهشيم

تحت أقدام الطّيور

الملك :

أو ندعو الطّير للتفاوض ؟

وزير الدفاع :

لو فعلنا آستضعفونا

ثم كبرا وغرورا ضربونا..

أعلموا يا سادتي أن الحقوق للقوي

ولذا لابدّ أن نرهبهم حتى نكون السّائدين

ويكونوا لرصاص الصيّد دوما خاضعين

وزير الصحة :

الوباء يتفشّى..

والسمّوم تتراكم

أينما وليّت وجها ...

لا ترى إلاّ الأفاعي

أينما حركت رجلا

دست فأرا في تداعي

خير حلّ أن ننادي الطير حالا للتفاوض

وزير الدفاع :

ليس هذا الرأي رأيي يا صديقي..

نحن فوق الأرض أقوى الأقوياء

هل نهاب الضعفاء ؟!

وزير الصحة (للملك) :

سيدي

المستشفيات امتلأت

لم يعد فيها لمرضانا مكان

شعبنا في خطر أيّ خطر..

الملك (يقاطعه) :

قد صدقت

ما دهانا خطر أيّ خطر

غير أن الرأي عندي

أن تقوموا بالحراسه

في الأراضي والسّماء

أن تسدّوا الأفق في وجه الطّيور

فإذا شاهدتموها والأفاعي بين فكّيـها

فأقتلوها قبل أن يخترقوا هذا الفضاء

فإذا بدّدتموهم، بدّدوا ما حملوا من قاتلات

إنّهم أصحاب موت

نحن أصحاب الحياة

ثم من حين لحين هاجموهم

أين كانوا، أرهبوهم

كي يحسّوا أننا الأقوى شراسه

هكذا فنّ السّياسة

(يقف الملك فيقف الوزراء)

وزير الصحة (وهو واقف) :

سيد ي.. سيدي..

الملك :

إنّ ما قلت لكم فيه الكفايه

فاستغلّوا وقتكم

إنكم للنّاس في الأرض حمايه

المشهد الرابع

حول مائدة كبيرة، الطيور من صقور ونسور وحدأت من ناحية والملك ووزراؤه من ناحية أخرى، الطّيور بلا سلاح بينما أمام الملك والوزراء بندقية، الغراب واقف في مكان لوحده

الملك (للطيور) :

نحن أرسلنا لكم نسألكم أن تقلعوا عن رجمنا

سمّا وداء

كبير النسور :

أعتديتم سيدي من قبلنا

فآعتداء بآعتداء..

الصقر (للملك) :

قد رأيتم أنكم لا تقدرون عن ردّ البلاء

إذ حرستم أرضكم ليلا نهارا

وتجنّدتم كبارا وصغارا

وقصفتم وقتلتم وسجنتم

رغم هذا قد دخلنا أرضكم في كل وقت

وقذفناكم ولا عين ترى

ووجدتم عدد الآفات دوما في ازدياد

وعجزتم رغم ما كان لديكم من جنود وعتاد..

وزير الدفاع (يخاطب المتفرجين) :

هكذا قال طغاة الأرض

في كلّ مكان

با سم سلم وحضاره

يمحقون الضعفاء

فإذا ما انهزموا يوما

وباؤوا بالخساره

لقّبوا العجز أمان

كبير النسور :

السّـــلام..

ذاك كل ما نريد

نحن لولا السلم

ما كان لنا يوما جناح

أو دعينا بالطّيور

الحمامة :

وبغير السلْم ما معنى الوجود ؟

العندليب :

نحن قوم قولنا دوما «سلاما»

وإذا سرنا بأرض نملأ الدنيا وئاما

غير إنّا إن ظلمنا

نشعل الكون نارا وانتقاما

الملك :

قد ملأتم أرضنا سمّاً زعافا ووباء

كبير النسور :

نحن لم نطلق رصاصا قصد قتل الأبرياء

لا ولم نأكل لحوما بين طبيخ وشواء

الملك (في امتعاض) :

لا علينا.. نتفاهم..

كبير النسور :

كلّ ما نطلب منكم

أن يعيش الطّير حراً آمنا

في الأراضي والسّماء

أقلعوا عن صيدنا

غدرا وطعنا في الظّهور

مثلما أنتم خلقتم للحياة

خلقت كلّ الطّيور..

وزير الدفاع :

إنّ لحم الطّير للناس ضرورة

الصقر (لوزير الدفاع) :

فتخيّل سيدي لو قتلوك

ثم بعد القتل سلخوك

ثم فوق النّار طبخا طبخوك

ثم على بعض الصحون وزّعوك

ثم أكلا أكلوك

بعدما آمتصوا العظام

وبقايا ما تبقّى

منك ترمي للكلاب..

إن قبلت كلّ هذا

نحن نرضى بالمصاب

ولتفكر جيّدا

قبل إعطاء الجواب..

الملك (للطيور) :

إن وعدنا باجتناب الصّيد حقنا للدماء

فبماذا تعدون ؟

الصقر :

نحن لا نرضى الوعود

كبير النسور :

لا يكون السّلم سلما دون عقد وعهود

الحمامة :

ثم كسر للسّلاح

ثم كسر للسّلاح

ثم كسر للسّلاح...

وزير الدفاع : (مخاطبا الملك) :

سيدي، ما طلبوه بات أمرا لا يطاق

نحن الأعلون دوما في عتاد واختراق

فلماذا نهن

ولماذا نرتضي منهم شروطا

(يخاطب كبير النسور)

إنّنا قد ننسف العالم نسفا في دقائق

ثم نذريكم غبارا بين ريح وحرائق

كبير النسور : (مشيرا إلى وزير الدفاع بإصبعه وهو في شدة الغضب)

إن قتلتم تقتلوا
أو نسفتم تنسفوا
ألف ألف من أفاع كلّ يوم تقبلون
ومن الفئران آلاف الألوف
وبعوض وذباب مثل بحر هادر بين الرّياح
فأعدّوا ما استطعتم من سلاح
سنراكم تعمهون
مثل عهن تنفشون
كسكارى دون سكر تعثرون
يوم لا ينفع بارود مبيد وقنابل
ثم نجليكم حيارى خاسئين..

كبير النسور : (يقف فيقف كلّ الطيور ويشير لهم بالذهاب)

الحمامة : (ترتمي على كبير النسور وتأخذ بيده)

سيدي النسر تمهّل
قد عهدناك حليما فتعقّل
نحن للسلّم أتينا
لا لحرب ودمار

كبير النسور :

نحن قوم لا نرى في الحرب عار
طالما كانت دفاعا فهي عزّ وآفتخار

وزير الدفاع : (لكبير النسور) :

إننا بالجيش اقوى

كبير النسور :

نحن بالإيمان أعتى

وزير الدفاع :

عندنا أسلحة قد تجعل الأرض غبارا

كبير النسور :

إن سحقت الأرض جهلا
فلتكن فيها آندثارا

الحمامة : (تأخذ بيد كبير النسور وبيد الملك وتخاطب الطيور وكل الحاضرين) :

أذكروا يا سادتي ما قد نسيتم
وأسألوا أنفسكم كيف وجدتم
قد دحى اللّه الأراضي مسكنا للكائنات
أنزل الماء حياة
رزق الإنسان فيها الطيبات
خلق الأزواج تمّ
جعل الحبّ وئاما
آمن الإنسان من خوف وأعطاه السلاما
فنحتنا الصخر بيتا له نأوى
نتّقي بردا وحرّا
وجعلنا الصّوف والأوبار لبسا
وشحذنا فكرنا خلقا وكشفا
وسعينا فعمرنا الأرض بناء وحضاره
وبعلم قد مشينا في القمر
كم أياد عملت
من نفوس زهقت
وجهود سخّرت
ليرى الإنسان نصرا
ليرى في الصبح شمسا
ليرى في الّيل بدرا...
قد أتينا دون قيد فبأي الحق أوجدتم قيودا؟
وخلقنا لانطلاق فلم الآفاق تنسدّ سدودا؟
وبأيّ الحقّ قوم قد غدوا في الأرض للبعض

عبيدا؟
قتلكم بعضا لبعض فيه سير للوراء
ظلمكم بعضا لبعض فيه ذلّ وشقاء
(تشير الى كبير النسور)
أنت حرّ
(تشير إلى الملك)
هو حرّ
(تشير الى نفسها)
أنا حرّه
كلّ من في الأرض حرّ
كلّ ما في العيش حلو
فلماذا تجعلون الحلو مرّ؟
كل الطيور : (بصوت واحد)
أنا حرّ
أنت حرّ
هو حرّ
كلّ ما في العيش حلو
فلماذا تجعلون الحلو مرّ؟
العندليب : (يخاطب الملك ووزراءه وهو يغني) :
أتركوا الطير يغني
يملأ الكون نشيد
فحياة دون شدو
عيش صخر في جمود
لو تصافحنا إخاء
كلّنا يحيا سعيد
ونعيش العمر حبّا
كل يوم فيه عيد...

العندليب : (يتقدم بسرعة ويرتمي على البندقية فتتبعه الطيور وتمسك بها من طرف بينما يمسك الملك والوزراء بالطرف الآخر والبندقية بين أخذ ورد)
الطيور : (في صوت واحد) :
اسحقوا هذا السّلاح
أنه يفني الوجود
اتركوه لنا ذخرا
به نعلو ونسود
الطيور : (دائما في صوت واحد) :
بل به تفنون
إن كلّ من يفنى يبيد
الملك والوزراء : (في صوت واحد) :
إنّه عند الحروب
خير نصر للجنود
الطيور : (في صوت واحد) :
إنّه أصل الخراب
فأسحقوا الداء المبيد
(تتغلب الطيور فتفتك البندقية، تضعها تحت الأقدام وتهشّمها، يتأخّر الملك والوزراء في ذهول وخوف...)
الطيور : (تغني وترقص فرحا في صوت واحد) :
دعوا الطّيور تغني
تحيي الوجود صداح
فالطير إن لم يغنّ
يقضي الحياة نواح
إنّ الطيور شموسا

تلألأت في انشراح

لا تطفئوا الشمس جهلا

تبقوا بغير صباح...

(يظهر رجل في لباس أبيض ولحية بيضاء ينادي الطيور فتحلّق حوله) :

الرجل :

يا طيور... يا طيور... يا طيور...

الطيور : (تستمع في اهتمام) :

.... (صمت)

الرجل :

(يرفع يديه نحو الأفق ناظرا إلى السماء

.... (صمت)

الطيور : (تنظر حيث ينظر الرجل، يظهر ضوء باهت في شكل قرص الشمس)

الرجل :

بزغت شمس الحقوق

فانعموا بالصبح في أحلى شروق

(بينما تنظر الطيور الى الشمس وهي في منتهى السعادة، تسمع طلقة نار فيسقط الرجل على الأرض ملطخا في دمائه، تفرّ الطيور فزعا وهي تصيح، يتحرك الغراب من مكانه الذي كان فيه يتجه إلى جثة الرجل ينظر اليها في امعان يقلّبها...

الغراب :

(في سخرية وفي مرارة شديدة)

هذه هي الحقوق

فآنعموا بالموت في كلّ طريق...

انعموا

بالموت

في

كلّ طريق...

« انتهت »

نقد أدبي

مسار القصة القصيرة في تونس من التأسيس إلى التحديث

بقلم: بوراوي عجينة

من المعلوم ان الشعوب كانت تجمع منذ القديم عيون اثارها شعرا ونثرا ومسرحا وفنونا أخرى وتحفظها من الضياع، معتبرة إياها دليل هوية ومراجع ثمينة ينهل من ينابيعها الثرّة القوم، ومنارات يهتدي بها اللاحقون، بل لقد أضحت بعض الآثار الثقافية والأدبية في منزلة المقدّس لديهم مثل الإلياذة والأوديسة وحكايات لافونتان المثليّة وأشعار المعلّقات ولاميّة العرب وخطبهم وأمثالهم ومؤلفات أدبية أخرى...

وكان قد سبقنا إلى جمع مختارات قصصية وروائية من تونس أدباء وباحثون عديدون نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر حسن حسني عبد الوهاب وزين العابدين السنوسي ومحمد الفاضل بن عاشور وتوفيق بكّار ومحمد الصالح الجابري وعمر بن سالم وبوشوشة بن جمعة ومصطفى الكيلاني وعبد الرحمان مجيد الربيعي ومحمد الزواغي وجان ميشال لودان وأحمد المديني ووداد القاضي ودانيال ريغ وغيرهم.

* هذا النص مأخوذ من كتاب تحت الطبع بعنوان «موسوعة القصص العربية في تونس في القرن العشرين» لمؤلفه بوراوي عجينة.

وممن قد ترجم نصوصا سرديّة تونسية من العربية إلى الفرنسية يمكن أن نذكر ماكاريوس، ومحمد فريد غازي وتوفيق بكار وصالح القرمادي وجان فونتان وفرج الحوار وحافظ الجديدي وغيرهم، إضافة إلى من ترجم إلى لغات أخرى كالاسبانية والروسية والإنجليزية وغيرها...

لكن عقودا من الزمن قد مضت على صدور تلك المختارات وولّت ألفية وحلّت ألفية جديدة وانقضت منها سنوات. فكان من الضروري مواصلة جهد الجامعيين السابقين والسيّر في مسارهم وتنميته وإثراؤه. ذلك أنّه قد ظهرت طيلة القرن العشرين نصوص قصصية عديدة نشرت أول مرة في الصحف والمجلات ثم ضمّ بعضها إلى بعض وصدرت ضمن مجموعات قصصية ثم أعيد نشر بعضها عدة مرات. وقد بلغ عدد المجموعات القصصية المنشورة من سنة الاستقلال (1956) حتى أواخر القرن العشرين ما يناهز 257 مجموعة قصصية لـ 156 كاتبا قصصيا - أي ما يقارب 2570 نصا سرديا قصصيا - فضلا عن نصوص سرديّة لم يجمعها أصحابها في كتب بعد.

والحقيقة أنه لم تنشر في المنتخبات المذكورة آنفا إلا نصوص محدودة جداً لا تتجاوز العشرة أو العشرين أو في أفضل الحالات الثلاثين، كان أنشأها المؤسسون والرواد وكتّاب مخضرمون ومؤصلون لم تتعدّ زمنيا منتصف الثمانينات غالبا (إ ذا استثنينا كتاب عبد الرحمان مجيد الربيعي الذي صدر بمصر في آخر القرن ولم يوزع في تونس بعد). فضلا عن اختلاف مناهج الجامعيين والباحثين وأدواتهم المعرفية وميولاتهم الذاتية والمقاييس الجمالية التي وجهت أعمالهم. كما أنهم لم يرسموا في مجاميعهم كلّها صورة شاملة للأدب السرديّ في تونس كمّاً وكيفا. ولم تمثل تلك النصوص المنتقاة جميع التيارات الأدبية والاتجاهات الفنية وأنماط التعبير فيها. وهي لعمري عديدة ثريّة جدا لها مثيلاتها في آداب الشعوب أو ما يشبهها. ومن المعلوم أن الكتابة كالنّهر الجاري لا يستقر على قرار أبدا ولا يمكن إيقافه في نقطة واحدة بأية حال من الأحوال إلا منهجيا من أجل الوصف الآني لا غير...

لكلّ هذه الأسباب وغيرها.. أضحى أمرا ضروريا بل واجبا حضاريا حتميا توثيق ما صدر من نصوص قصصية توثيقا علميا، فارتأينا أن ندرس المدونة القصصية في تونس خلال القرن العشرين بأكمله بانتقاء أفضل ما تضمنته من نصوص سردية والتنبيه إلى مكانتها وإبراز أكثرها تصويرا للتحولات الاجتماعية والحضارية التي كانت عرفتها البلاد التونسية بدءا بعهد الحماية والاستعمار السياسي فمرحلة النهضة السياسية والأدبية في الثلاثينات فمرحلة المقاومة والكفاح الوطني المسلح ثم وصولا الى منعرج الاستقلال وما بعده أي فترة بناء الدولة ثم عصر التمدن والمشاغل الجديدة وانتهاءا إلى العقد الأخير من القرن وفيه طغى زمن العولمة وقوة الاتصالات وتعقيدات التمدن.

لم تكن اختياراتنا عفوية أبدا وإنما كانت خاضعة إلى مقاييس منهجية صارمة حينا ذاتية مرنة حينا آخر، وضعناها نصب أعيننا علامات اهتدينا في ضوئها أثناء عملنا الذي امتدّ ردحا من الزمن قارب سبع سنوات قبيل نهاية القرن وبعده مزيجا من البحث والجهد والمتعة في آن معا.

وقد اطلعنا على جلّ النصوص القصصية المنشورة سواء في الكتب أو المجلات أو الصحف - وقد تجاوز عددها ثلاثة آلاف نص سردي - استوقفتنا منها نصوص وجدنا فيها أهم مقومات فن القصّ وإن بدرجات متفاوتة..

لقد انتقينا تلك النصوص ووهبناها بعد تحليل متأن ومقارنات دقيقة وتثبّت عميق، ولم نسلط في اختياراتنا تلك موقفا ايديولوجيا مسبقا ولم نبوىء كاتبا الصدارة دون غيره من الكتّاب، ولم ننحز إلى تيار فني دون آخر، بل كانت تحدونا في كلّ خطوة خطوناها نظرة حرة ورغبة صادقة في تقديم أشمل صورة عن

مسار الأدب التونسي القصصي المعاصر خلال القرن العشرين بمراحله المتلاحقة أو المتجاورة أو المتقابلة وأكثرها وفاء (...).

إننا اخترنا الأعمال الأكثر تعبيرا فنيا وسلامة لغوية وتمثيلا لهذا التيّار أو ذاك (...) فما نشر من مجموعات قصصية من بداية الاستقلال (1956) حتى 1966 بلغ حوالي 200 مجموعة حسب إحصاء الباحث ومؤرخ الأدب جان فونتان. وان أضفنا اليها ما نشر من أقاصيص في المجلات والصحف والمنتخبات ولم يجمع في مجموعات قصصية بعد.

ولم نقتصر في المنتخبات على اختيار نصوص كتاب تونسيين معروفين انقشت أسماؤهم في الذاكرة الجماعية وكتبت عنهم دراسات نقدية سواء داخل الجامعة أو خارجها فحسب بل اعتمدتنا نصوص غيرهم أيضا. إذ كان الاختيار مشتملا عليهم ومنفتحا أيضا على كتّاب آخرين من المؤسسين والرواد المغمورين (أمثال صالح سويسي ومحمد مناشو وسعيد أبوبكر ومحمد العريبي). ومن الكتّاب الروائيين والقصّاصين ممّن لم تصدر لهم مجموعات قصصية بعد (أمثال محمود المسعدي وعبد العزيز الحاج طيب وتوفيق بوغدير ورشيد الغالي وهشام بوقمرة ومصطفى المدايني...) ومن شعراء عرفوا بشعرهم وكانت لهم مع ذلك مساهمات قصصية لا يستهان بها (أمثال أبي القاسم الشابي وحسين الجزيري وعبد الرزاق كرباكة ومصطفى خريف وأحمد القديدي...) وعرضنا أيضا نصوصا لكتّاب الثمانينات والتسعينات ممن ما زالت أسماؤهم غير معروفة لدى عموم القراء بعد وأعمالهم لم تدرس دراسة عميقة، إذ لاح لنا أنّ بعض أقاصيصهم واعدة، ما فتىء أصحابها يجتهدون ويسعون إلى فتح مسالك جديدة في الكتابة السرديّة بأدوات تقليدية مألوفة وأخرى حديثة معاصرة.

ومهما يكم من أمر فقد حرصنا على أن لا تتكرر القضايا الاجتماعية والفكرية والأساليب الفنية في النصوص المنتخبة. وأن وجد القارىء أماكن وشخصيات وقضايا متشابهة أو متماثلة (مثل الصحراء والبحر والادارة والمنجم والعامل والموظف الاداري والولادة والموت والشيخوخة وشهرزاد وشهريار...) فالرؤى كانت مختلفة وأساليب الكتابة أيضا.

وقد سعينا إلى التنويع قدر المستطاع.

ولا شكّ أننا لم نتمكن من التخلص من ذوقنا الخاص وميولنا الذاتية في الانتقاء النهائي، رغم المقاييس العلمية والنقدية الجمالية الدقيقة التي التزمنا بها أثناء عملنا، والتثبت الطويل والحرص الشديد أثناء دراسة ما كتب عن القصة التونسية وما تعلّق باعلامها وتيّاراتها ونقدها وخلال جلسات التشاور مع الكتّاب والنقّاد والزملاء المربين والأصدقاء -

ونشكر لهم في هذا السياق فضلهم الكبير لمدهم إيانا برحابة صدر بعدة نصوص قصصية ما كان لنا أن نتوصل اليها لولا

جهودهم الكريمة الثمينة .... رغم كل تلك المقاييس قادتنا - عن وعي أو عن غير وعي - المتعة الخاصة التي وجدناها أثناء مطالعة النصوص القصصية وإثر ذلك أيضا، ومسألة تشويق الكاتب إيّانا وشدة انتباهنا وهو يقصّ وتفاعلنا الذاتي مع المواقف الإنسانية والمظاهر الجمالية التي تضمنتها تلك النصوص، ولعلنا فضّلنا فضاءات بعينها دون أخرى (منها البحر والصحراء والمدينة) وقضايا حضارية دون غيرها (منها العمل في المدينة والعلاقات العاطفية والمواقف الإنسانية عامة) ومسائل فكرية مجرّدة (منها الفن والبحث عن الكيان والزمن والشيخوخة والحريّة). أليس المعيار الأساسي لنقد أيّ أقصوصة أيّا كان نوعها أو اتجاهها - مثلما هو معلوم - الانطباع النهائي الذي ينتقش في النفس إثر الانتهاء من قراءتها ويظلّ راسخا مدة طويلة - مثلما ألّح على ذلك الكاتب الأمريكي آلان إدغار بو؟ ثم أليس مع كل اختيار - مهما كان نوعه - يتستّر ذوق شخصي وموقف فكريّ ومقاييس جمالية محددة؟ لمن عذرنا في كل ذلك المقصد النبيل الذي دفعنا للتوثيق وحيادنا الفكري وسعينا الى الالتزام به والوفاء إلى حقيقة المدوّنة السرديّة في تونس (...).

وقد أدرجنا مرة نصا كاملا واحدا لكاتب معيّن ومرة أخرى نصين أو ثلاثة نصوص لكاتب آخر إما لقصر نصوصه (حسين الجزيري وحسن نصر مثلا) أو لأن نصا واحدا لم يكن كافيا لتقديم صورة وفيّة عن صاحبه فكريّا وجماليا فتعمدنا عند ذلك تقديم كاتب واحد من خلال عملين يصوّران مجالين مختلفين متكاملين من الحياة أو أكثر (منها الولادة والحبّ والموت والعمل الاداري والنشاط السياسي مع رضوان الكوني مثلا) أو من خلال نمطين من أنماط الكتابة أو أكثر (منها الواقعية أو الرمزية مع البشير خريف ومحمد صالح الجابري وإبراهيم الدرغوثي...).

لقد سعينا في هذه الاختيارات إلى اصطفاء نصوص قصصية متفاوتة الطول والقصر متعددة المشارب والأساليب وإلى الإحاطة بأغلب الفئات الاجتماعية التي صورّها الكتّاب في أقاصيصهم (من عمّال يدويين وحرفيين صغار وفلاحين وموظفين ومدرّسين وأصحاب جاه وسلطان ونفوذ ومثقفين وفنانين وعاطلين عن العمل وهامشيين... وغير ذلك من مختلف الأجناس والأعمار والمستويات الفكرية...)، ومن شخصيات قصصية أخرى واقعية ورمزية.. وقد وجدناها تنقلت - من خلال النصوص السردية - في فضاءات ومناخات اجتماعية متنوعة : (منها المدينة والريف والبحر والغابة والصحراء والجبل والمنجم والادارة والحانة والشارع الخ...) أي أرجاء الوطن الكبير بجهاته وعاداته المتنوعة وكذلك في بلاد الهجرة الواسعة البعيدة... وهي أماكن

مرجعية حينا متخيّلة حينا آخر). واهتممنا بالقضايا اليومية لتلك الشخصيات القصصية ومصائرها أو بما تعلّق أيضا بمساعيها إلى تحقيق القيم التي آمنت بها. وقد بحثت أغلبها عن هويّتها وهي في طور التشكّل وتاقت إلى تحقيق مظاهر من كيانها لم تكن قد اتضحت الوضوح الكافي آنذاك.

كانت أغلب تلك النصوص المنتخبة إذن قد صوّرت أوضاعا حضارية عرفتها البلاد خلال مسارها التاريخي الطويل المليء بالأحداث والتغيّرات والمفاجآت وعكست أنماطا من الرؤى والأساليب وأحوالا نفسيّة وقضايا إنسانية متنوعة.

وقد ضمّت هذه المنتخبات أهم التيارات الفنية القصصية في تونس أيضا مجسّمة أنماطا محدّدة منها:

الحكاية الخرافية والخبر والمقامة واللوحة القصصية والمحاورة القصصية والأقصوصة الرومنسية والأقاصيص الواقعية سواء منها التسجيلية أو الاجتماعية أو النقدية أو النفسية أو الأقاصيص الذهنية والرمزية والعجائبية والتجريبية والقصة الومضة وغير ذلك من الأنماط التقليدية والحديثة وغيرها... كان بعضها مرتبطا بالحدث وبعضها الآخر بالمكان وصنف ثالث بالشخصية ورابع بالزمان وخامس بالفكرة المجرّدة وسادس بالحالة النفسية وسابع بالشكل أو بظاهرتين اثنتين معا ممّا ذكرنا أو أكثر الخ...

ومهما يكن من أمر تلك اللوحات والأقاصيص والنصوص فقد بدت لنا في مجموعها ممثلة أهم التيارات القصصية في تونس أدبياً وفكرياً وجمالياً مشكلة موسوعة شاملة عاكسة أصداء ما كان قد نشر من أعمال سردية... مجسّمة في نهاية المطاف رؤى متنوعة من المراحل التي أنشئت فيها عارضة أنماطا متعددة من جنس القصة ومن مواقف القصاصين التونسيين من مظاهر عديدة من الوجود الإنساني في العصر الجديد (الحياة والحب والخير والشر والعمل والمقاومة والشيخوخة والموت الخ...) ومن نظراتهم إلى قيم كانوا يرفضونها وينتظرون زوالها وأخرى يسعون الى تعديلها وغيرها يحلمون بتحقيقها.. فتجلّت من خلال النصوص السردية المختارة للكتّاب الأحلام التي راودتهم إبّان زمن الكتابة والنشر وقيم حضارية وفكرية حركت مخيّلاتهم ودفعتهم إلى الإصداع بها.. وكانت تلك النصوص علامات أنبأت عند ظهورها بظهور علامات في مسار القصّة لم تكن معروفة من قبل. إلاّ أنّ بعضها لم يخلُ من نقائص البدايات وبعضها الآخر من تعثرات التأصيل وغيرها من قوالب التقليد وأخرى من غموض التجريب وتعقيدات التجديد.

لقد كانت أقاصيص هذه المنتخبات ـ بأجزائها المتتابعة ـ إذن صدى أعمال قرابة خمس جماعات من كتّاب القصة القصيرة في البلاد

التونسية خلال القرن العشرين بأكمله : نجد أولا «جماعة المؤسسين» أمثال صالح سويسي (القيرواني) ومحمّد مناشو وحسن حسني عبد الوهاب في بداية القرن وهم أصحاب أقاصيص وعظيّة إصلاحية قريبة من المقالة الصحفية والمقامة ويتبعهم الرواد أمثال علي الدوعاجي ومحمد العريبي وعبد الرزاق كرباكة في فترة ما بين الحربين، وهؤلاء الثلاثة من «جماعة تحت السور».. وهم أصحاب أقاصيص فنية واقعية قريبة من الخبر اليومي والرواية الملخصة والمشهد الحواري وقد حاولوا الكتابة والمساهمة في عديد الأجناس الشعرية والنثرية والمسرحية. ونجد ثانيا، «جماعة المخضرمين المؤصلين» أمثال الطاهر قيقة ومصطفى الفارسي وعمر بن سالم ومحمد رشاد الحمزاوي وحسن نصر ومحمود بالعيد وعز الدين المدني.. وهم أصحاب المذهبين الواقعي والاجتماعي النقدي والذهني الرمزي.. ونجد ثالثا «جماعة الاستقلال» أو ممّن كتبوا أقاصيصهم في أواخر «السبعينات وبداية الثمانينات» من أمثال حسونة المصباحي وأحمد ممّو وعروسية النالوتي وزهرة الجلاصي.. وقد ولدوا قبيل الخمسينات ودرسوا في عهد الاستقلال وانتموا إلى تيار «الواقعية الجديدة»، ونجد رابعا «جماعة الحداثة» أو «نهاية الثمانينات» أمثال صالح الدمس ومصطفى الكيلاني ورضا الكافي وإبراهيم درغوثي.. ممّن ولدوا بين أواسط الخمسينات وبداية الستينات وكانوا ذوي حساسيات جديدة في الكتابة وممّن تميّزوا بالرفض الفكري والغموض في تصوير خفايا الواقع، ونجد خامسا «جماعة التجريب» أو كتّاب التسعينات» الذين ولدوا في أواسط الستينات أمثال صلاح الدين بوجاه وعلياء رحيم وظافر ناجي وعمر الغدامسي وفوزي الديناري وسفيان بن عون ومحمد عيسى المؤدب ومحمد آيت ميهوب، وهم أصحاب أصوات جديدة متعددة جدا لا يمكن حصرها في تيّار واحد، ما دام هذا الجيل يضمّ كتّابا ذوي اهتمامات مختلفة، يتفقون ـ رغم اختلاف مشاربهم ـ في الرفض والبحث والتجريب والرغبة في كشف أحوال الحياة الجديدة من خلال تصوير أغوار النّفس الذاتية العميقة بعيدا عن الحياة والموضوعية، أضف إلى ذلك صهرهم أجناسا أدبية عديدة جدا في فضاء نصّ سرديّ واحد، بقدر ما يحفل بالواقع يتخطّى حدوده ويكشف أعماقه ويصوّر خفاياه ويبلغ تخوم الشعر وغرائب عالم العجيب، وقد اختص هؤلاء الكتّاب المحدثون بسعيهم إلى كتابة «نصوص جديدة» متنوعة، وفسحوا المجال لكلّ أنواع الاجتهاد، إذ تجمعت في نصوصهم أشكال قديمة وأخرى حديثة تجاور فيها الواقع والخيال معا، وتعانقت وجوه الملهاة والمأساة والنقد والسخرية والمعقول والعبث،، وتآلفت فيها

معارف شتّى، وامتزجت فنون لا حصر لها مثل الخبر والمشهد المسرحي والنفس الشعريّ والرسم والمقالة الصحفية وصور واقعية تنضج غنائية ترقّ حدّ الهمس والذوبان إلا أنّها سرعان ما انقلبت على أعقابها فأضحت عجائبية صاخبة متمردة حادة كالنّصل القاطع شبيهة بالفواجع الإغريقية أو المآسي المدهشة. ويبدو أن أصحاب هذه الكتابات أنجزوا أعمالا جديدة مبشّرة بأعمال قادمة رفيعة المستوى. ونجد ضمن الجماعة الخامسة «الأصوات الجديدة جدّا» ممّن كانت أعمارهم تقارب سبعا وعشرين سنة حين هلّت الألفية الثالثة من أمثال منيرة الرزقي وغيرها... وهذه التجارب الناشئة لم تتبلور بعد، لكنها واعدة بتجارب جديدة محمودة.

وقد جسّدت أقاصيص تلك الجماعات الخمس المتلاحقة والمتداخلة القصة القصيرة بتونس ومسارها الطويل وتطوّرها خلال قرن كامل باتجاهاتها الكبرى «التقليد والتطلع والتفجير» - حسب تصنيف النقّاد - وتضمنت أهم اتجاهات أنماط جنس أدبي مرن ومعقّد في آن معا ما فتىء ينمو نموّا متدرجا حينا هشّا متعثرا حينا آخر متعرضا في جميع الأحوال إلى تحوّلات عجيبة وتلوينات فنية عديدة.

إنّنا أوردنا الأقاصيص حسب تواريخ ميلاد أصحابها تسهيلا للترتيب والمطالعة ودون مفاضلة : فبدأنا بالكتّاب المولودين في نهاية القرن التاسع عشر وانتهينا إلى كتّاب مجدّدين ولدوا في بداية ثمانينات القرن العشرين.

وننبّه في هذا السياق إلى أن التقسيم التاريخي للكتّاب لا يعكس آليا مظاهر تطوّر القصة أو اتجاهاتها أو أصنافها أو خصائصها، بل إننا كثيرا ما وجدنا الكاتب الواحد ينتمي إلى عدة مراحل زمنية وأنماط في الكتابة، بنشره نصوصا ذات أساليب مختلفة متعددة فيندرج أدبه تبعا لذلك ضمن تيّارات فنية متنوعة (أمثال محمد العروسي المطوي ومصطفى الفارسي وعز الدين المدني وحسن نصر وعمر بن سالم وغيرهم..). فالسنّ لا تعكس تجربة صاحبها بصفة آلية، فلعلّ الكاتب يكون شابا وهو تقليدي المذهب، ولعلّ غيره يكون متقدما في السنّ وهو مجدّد... إنّنا اعتمدنا التدرّج الزمنيّ المرتبط بتواريخ مواليد الكتّاب تسهيلا للجمع والتقسيم والتبويب والمطالعة لا غير. وقد أوردنا في آخر الكتاب السادس قائمة تضمّ أسماء جميع كتّاب هذا المصنّف مرتّبة ترتيبا زمنيا تصاعديا (...).

وقد عرفنا في آخر كلّ كتاب بتراجم المؤلفين وذكرنا قوائم تضم عناوين أهم أعمالهم الأدبية بوجه عام ومجموعاتهم القصصية بوجه خاص ومراجع أمكننا جمعها من موارد متعددة، اعتمادا على ما توفر لنا من مؤلفات ومقالات وما وصلنا من الكتّاب الذين راسلناهم فلبّوا الدعوة مشكورين وممّا حرّرنا

من فقرات. ولعلّ تلك التعريفات والملّخصات تقرّب المرء من مناخ تلك النّصوص المختارة وقد تدفع المراجع المرافقة الباحثين إلى الاطلاع على أعمال المؤلفين ودراستها.

قمنا بكل ذلك لإفادة القارىء التونسي وتيسير المطالعة عليه، وإطلاع القارىء العربي على مدوّنة القصة التونسية وأعلامها واتجاهاتها ومقاصدها وتطورها وإعلام القارىء المستعرب والقارىء الأجنبي بمكوّنات مدوّنة قصصية غريبة عنه... وكفينا هؤلاء وأولئك مؤونة البحث والتنقيب عن المدوّنة القصصيّة التي يعسر العثور على أغلب جوانبها ومجموعات مؤلفيها في المكتبات الخاصة والعامة بيسر بل قد لا يوجد إلاّ القليل منها ولعلّ كثيرا منها قد نفد أو ضاع. ولا شكّ أن نصوصا أخرى خارج هذه المدوّنة ما زالت محجوبة عن العيون في مجلات قديمة اصفّرت منها الأوراق وعلق بها غبار الزمان وظلّت محفوظة في مخازن لا تبلغها الأيدي إلاّ بعسر شديد ولا يقدر على الاطّلاع عليها إلاّ قلّة من الباحثين المختصين.

وقد ضم الكتاب الأول من هذه الموسوعة القصصية 64 نصا قصصيا كتبها واحد وثلاثون كاتبا من جيل المؤسسين والرواد : بدءا بصالح السويسي (القيرواني) ومحمد مناشو وحسن حسني عبد الوهاب الذين ولدوا في نهاية القرن التاسع عشر وكان الأول عصاميا والثاني مربيا ورجل مسرح والثالث رجل سياسة باحثا مؤرخا ذا ثقافة عربية عميقة وغربية متنوعة. وكان لهؤلاء وغيرهم فضل التأسيس والمبادرة بانشاء بواكير القصة القصيرة في تونس وذلك في العقد الأول من القرن العشرين. (ونصوصهم لم تخل من نقائص البدايات وتعثرها)، يتبع هؤلاء المؤسسين الكتّاب الرواد أي كتّاب الثلاثينات من «جماعة تحت السور»وصولا إلى كتّاب نشروا في الخمسينات والستينات وأصلّوا فنون القصّ وجوّدوها، وجلّ هؤلاء الكتّاب مخضرمون ولدوا قبل 1930 وكتبوا بداية من أواخر الخمسينات. ولا يخفى ما كان لهذه السنة 1930 من أهمية حضارية، إذ كانت منعرجا تاريخيا حاسما شرع فيها مثقفون مقتدرون في خوض غمار العمل السياسي بطرق جديدة - إثر عودتهم من فرنسا إلى الوطن بعد أن أتمّوا دراساتهم العالية - وهي السنة التي أقام فيها المستعمر الفرنسي مؤتمر المسيحيين العالمي الضخم الذي أطلق عليه «المؤتمر الأفخرستي» احتفاءبالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر، وهي السنة التي أنشئت فيها مجلة «العالم الأدبي» لزين العابدين السنوسي ذات الطابع الثقافي الأدبي - والتي تجمّع حولها نخبة من مثقفي البلاد ونشروا على صفحاتها مقالاتهم وأعمالهم القصصية والشعرية والنقدية. وقد خصّت المجلة في تلك السنة القصة بعدد كامل محدثة بذلك نهضة قصصية هامة - ويختم

الكتاب الأول من الوسوعة إذن بأعمال سردية لمواليد سنة 1929 (...).

خاتمة :

وهكذا فقد ظفرنا في آخر المطاف بـ «موسوعة قصصية تونسية» شاملة أي فضاء رحب واسع الأرجاء متعدد الأنحاء تتجاور فيه نصوص سردية متعددة الخيوط متنوعة الأشكال والألوان والأضواء.. يعرض للناظر بمكوناته وتلويناته أعمال كتّاب تونسيين لحما ودما أغنوا القصة التونسية خلال قرن كامل من الزمن باعمال هامة، إذ ساهم كلّ واحد منهم من جانبه في إقامة صرح الحداثة السردية في تونس بوجه خاص وصرح الحداثة القصصية في الأدب العربي بوجه عام، بل لعلّ أعلاما منهم قد أضافوا لبنات لا يستهان بها إلى صرح الحداثة العالمية الكبير بوجه أشمل..

تشمل السداسية كلّها إذن 374 نصا قصصيا ألّفها 181 كاتبا تونسيا. أي ما معدله في كلّ كتاب من كتب الموسوعة الستة : 62 نصّا سرديا ألّفها 30 كاتبا.

وقد انتقينا من الموسوعة القصصية التونسية عيونا من الأقاصيص أودعناها مصنّفا تأليفيا مستقلا يضم 66 أقصوصة لـ 66 كاتبا تونسيا وسميناه بـ «ألوان من القصة العربية في تونس» تتويجا للموسوعة القصصية الكبرى.

وقد كان أحد أعلام الرواية والقصة في تونس - هو البشير خريف - ذكر في إحدى المحاورات معه منذ عقود خلت أن مستوى القصة الحقيقي إنما يظهر بعد الترجمة، فما هو المآل الذي ستؤول اليه هذه النصوص المختارة أو بعضها إن قدر لها أن تترجم؟ والحقيقة أن منها ما ترجم إلى الفرنسية والإسبانية والإنجليزية والروسية ولغات أخرى.

وما ستكون عليه مصائر تلك النصوص السردية المنشورة إذا ما قدّر لها أن تتحول من مجال الحروف والكلمات إلى مشاهد مسرحية تمثل على الركح أو تمثيليات إذاعية تبث على موجات الأثير أو إلى أفلام قصيرة أو أفلام طويلة تعرض على المتفرجين على شاشات التلفزة والسينما؟ ونذكر أن ذلك حدث فعلا مع بعض أقاصيص الدوعاجي من مجموعته «سهرت منه الليالي» في شريط : «في بلاد الطررني» ورواية البشير خريف «برق الليل» وقصته الطويلة «خليفة الأقرع» وأقاصيص مصطفى الفارسي «سلسلة من ذهب» و«سرقت القمر» و « 2+ 2 = 5 » ورواية عبد القادر بن الشيخ «ونصيبي من الأفق»؟ وروايتي محمد صالح الجابري «يوم من أيام زمرا» و «ليلة السنوات العشر» في أفلام طويلة الخ...

هل وفقنا في جمع هذه المختارات القصصية التونسية والعربية ونفض الغبار عنها واثباتها في الذاكرة الجماعية والتعليق عليها؟ وهل قدّمنا للقراء والباحثين موسوعة ثقافية وفنّية متكاملة لجنس أدبي من أهم الأجناس

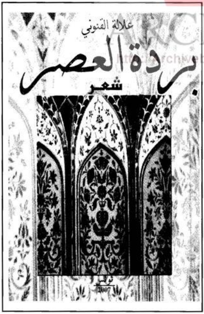
السردية؟.

وإلى أي مدى ستتداول أيدي القراء نصوص هذه المدونة؟ وكيف ستكون ردود أفعالهم؟ وما هي النتائج والأحكام النقدية التي سيستخلصها الباحثون منها؟ تلك وغيرها أسئلة ما زالت أجوبتها في رحم التاريخ ستكشف عنها الأيام والأعوام القادمة.

وصفوة القول.. لعلّنا بإعداد هذا العمل التوثيقي ساهمنا مساهمة ملموسة في المحافظة على ذاكرة وطنية أدبية لا تقدّر بثمن ومواصلة السير في سبل ثقافية بنفس أرواح من سبقونا وكانوا قدّموا للثقافة خدمات جليلة وجهودا قيّمة، وفي ربط أواصر التواصل الفكري مع أنفسنا وتمتينها، ودعم جسور التحاور الحضاري والتثاقف مع القراء العرب، والتفاعل مع غيرنا من الأقوام في مرتبة الندّ بالندّ...

ومهما يكن من أمر فإن «رضا النّاس غاية لا تدرك»، ذلك أن الإحاطة الكاملة الشاملة بالمدوّنة عسيرة، بل مستحيلة، والعمل البشري ـ مهما كان اجتهاد صاحبه ـ لا يخلو من مظاهر التقصير والسهو أبدا. وما الجودة في انجاز أي عمل إلا قيمة حضارية منشودة وغاية سامية يسعى اليها المرء قدر المستطاع، لعلّه يدركها، أو لعلّه لا يدرك منها إلا جوانب محدودة.. ولكن ما يشفع لنا النقائص المحتملة ضخامة العمل وتشعبه وتعدد المراجع وتشتتها في آلاف الكتب والمجلات وإنجازنا الموسوعة القصصية بمفردنا على امتداد سنوات قطعناها من حياتنا العائلية والمهنية.

ونلتمس في خاتمة هذا التقديم من القراء والباحثين والكتّاب أن يتكرموا بمدنا بملاحظاتهم النقدية وآرائهم الثمينة في شأن هذا المصنّف أو أن يقدموا لنا نصوصا سردية قصيرة أخرى، لعلنا كنّا غفلنا عنها أو علمنا بها لكننا لم نتمكن من العثور عليها في متونها، فنتلافى بذلك النقائص في طبعة لاحقة للكتاب إن قدّر لهذا العمل أن ينشر نشرة جديدة منقّحة.



شعرية البراءة في [هذه الجثة لي]

قراءة في شعر عبد الله مالك القاسمي

بقلم : شرف الدين بوغديري

إن أول ما يبادرك وأنت تتصفح مجموعة «هذه الجثة لي» للشاعر عبد الله مالك القاسمي هو هذا الإعلان البريء عن شعرية الطفولة التي تنير لك بوابات ومنافذ هذه القصائد بما هي وحدات من العلامات السيميائية تعبر بك إلى مغالق هذا الوجدان المتقلب بين الرهافة والهيجان تحديا للمألوف من العادات والتقاليد التحريفية وتأصلا في روح التراث الإبداعي فصاحة وبداوة فأنت تراه ينتقل من فصاحة الطفولة من حيث هي فصاحة البراءة إلى فصاحة العروبة من حيث هي عروبة الأوائل إلى فصاحة القبائل الهلالية باحثا عن أنموذج للإبداع الأصيل دون أن يتناسى الانشغال بقضايا الراهن والمعتاد اليومي ونحن إذ نحاول تقديم قراءة تأويلية تفاعلية قد تنفذ إلى أعمق طبقات المعمار الشعري الذي يتماسك احيانا في إيقاع يبدو ملحميا وطويل النفس وأخرى يتداعى ليتفكك في نمط الشذرات سنتبع فيما يلي مسالك أو منافذ قد تضيء لنا ما غمض وما ألغز من سيمياء قصائد «هذه الجثة لي» ومن طوابق معمارها الإيحائي المتخفي في معجمية تتنوع من الرومنسية إلى الخمريات.

I ـ شعر الطفولة / شعر البراءة :

ليس من العسير ان نتبين منذ قراءة المقاطع الأولى أن ايقاع البراءة لدى الشاعر إنما يصدر عن احساسه العميق بوضع الأبوة الذي يثخنه يوميا بجراح التعاطف مع الأبناء (البنت هاجر والابن مالك) أو من احساسه العميق بالبعد العالمي للفن مهما كانت علاماته أو رموزه : كلمات / الوان /أشكال/ إيقاعات وذلك من خلال تفاعله مع عوالم الرسامين والشعراء والروائيين. فالشاعر يعود إلى طفولته يوميا أو يكاد من خلال معايشته لأبنائه كما يعود اليها من خلال تفاعله مع إبداعات الفنانين والمبدعين المعاصرين له مهما اختلفت أدوات تعبيرهم فإذا بابنته هاجر تتحول إلى قبس ينير ظلمته ويدفىء بردته فيستعيد الشاعر طفولته في شكل كتاب من الأحلام ينفتح على الآتي وها هو كل ما حل بابنته مصاب إلا وأحس بالحسرة المريرة تؤلمه فيندهش أمام عبث القدر ويرجوها ألا ترحل وأن «تنتظر عند باب الحلم» فليس غريبا أن يتراجع الموت و «ينحني أمام زهرة القرنفل» وتتكشف لك مرة أخرى البراءة بما هي صورة من وللباري من خلال مرجعية الإمام مالك رمز التراث العربي

الإسلامي للفقه السني في الإفتاء وفي التفسير للقرآن ولمدونة أحاديث النبي (صلعم) ويأتي هذا الانكشاف في لغة شعرية سلسة ورائعة تتمازج فيها صور الرومانسية مع إيحاءات الوحي والنبوءة فها هو يقول :

«... تصفح كتاب المرايا القديم
وقل ما الذي قد تبقى من الكلمات
فها أنت وحدك
تكتشف الله والكلمات
وتقرأ لوحة الطفولة
سفز النبوءة والعاصفة
تتهجى زمان البدايات..
هل أنت مالك تأتي ؟
ومن غيره في المدينة يفتي ؟
وقرآن مالك ماء
وضـــوء
وسنبلـــــة
وفراش يحط يطير
سيأتي الفقير إليه ويأتي الأسير
فهل أنت مالك تأتي ؟

وتتواصل مجازات البراءة علامة على البساطة الممتنعة زاخرة بايحاءات تنحو على منوال الرومانسية المتجاوزة للمألوف أو تتمازج بالسريالية الخارقة للمعتاد من صور الشعر فإذا بك تقف عند تمثل منوي للرؤى «يغسله الماء على ضفة النهر» وعند «تشكل الضوء في أصابع تمشي على جسد الظلام» وعند الاختتام ها هو الشاعر يتجه بناظريه صوب المستقبل فتتسع دائرة رؤياه لتتمثل ابنه مالك في نقطة التحام الأبد بالأزل «يجيء نبيا بلا معجزة «ليوحد القبائل المتناحرة على وجه الأرض البريئة : أرض الطفولة وأرض العجائب.. ومن خلال لحظة وعي تخرق نشوة تخمره العرضي وهو على أعتاب الميلاد / الموت السابع والثلاثين يستحضر الشاعر أماكن وردهات تسكعه في الشوارع من «المقهى» إلى «البار» إلى «اتحاد الكتاب التونسيين».. ثم إلى مدينة «التضامن» و«حي البساتين» ويبوح بألمه المتحجب والدفين في أعماق القلب ومن وراء ابتسامات المحبة التي يوزعها على المارين من الأحباب فإذا به يقف عند تعقد أبعاد ذاته الاجتماعية المتحولة من التقوى إلى الفسق إلى المعقولية إلى جنون الإبداع.. وإذا به يتذكر أطفاله «زياد» و«هاجر» و«ريم» و«مالك» وهم ينتظرون وقتا للفرح واللعب وللأكل ولكن دون جدوى...

« هذا أنت..
لا أحد يعرف أن هاجر التي...
أن زياد وريم ومالك ينتظرون وقتا للعب
ولا يلعبون
وقتا للياغورت والشكلاطة
ولا يأكلون
وقتا للتلفزة والفيديو ولا..
وقتا للماء ولا...

وتحتد حساسية ثورته البريئة ضد الوضع فيصرخ في وجه البلاد/الوطن «تونس» ولكنه

صراخ كالبكاء وكالضحك.. فيعود من جديد ليبوح ببراءته التي اضطرته الى التضحية بحيل الحياة وحيل الذئاب وحيل الشعارات والانتهازية... وللطفولة وأبعاد براءتها فضاء آخر تتجلى فيه : إنه فضاء قصيد «صدى اليوم الأول»، اليوم الأول في المدرسة ففي هذا الفضاء يمتزج الماضي بالحاضر ويتآلف اليوم الأول من دخول الشاعر إلى مدرسته بحي الزياتين صحبة أخته الكبرى باليوم الأول لدخول ابنته هاجر إلى نفس المدرسة كما يتآلف بالخوف الصارخ من عيون الأبرياء وتزدحم الأصوات والألوان والأجسام الصغيرة في فضاء من الغربة : غربة اليوم الأول من الدخول إلى المدرسة فلا أحد يعرف الآخر بعد. وفي الفصل الخاص بلوحات من المجموعة تنكشف براءة الطفولة من حيث هي عدسة للبصيرة ترسل أضواءها الثاقبة في مختلف أبعاد فضاء الوحة وتقاطعات الأشكال والرسوم وفي مختلف امتزاجات الألوان ودلالاتها المتنوعة. إن المقاطع المخصصة للوحات تأتي بسيطة وشفافة لا لبس ولا تعقد في دلالاتها أو في رموزها. إنها نقل مباشر أو يكاد للعناصر المكونة للوحة ومحاولات لتفكيك مضامينها وانارتها واستلهام الحدود القصوى من الإيحاء المتضمن فيها. ففي قصيدة «متى يأتي رجل المطر» ينقل لنا الشاعر بكل بساطة وأمانة العناصر والشخوص التي تتكون منها اللوحة وتؤلفها :

« شوارع خلفية
أشبــــاح
وعيون مطفأة
سماء رمادية
وامـــــرأة
على كرسي التعب
تطل من النافذة...
أجساد عارية ترقص
رقصة الحزن
وريشة تكتظ بالألوان...

وفي قصيدة «المشاهد» يعمد الشاعر إلى تحويل أشباح الرسوم في مدينة البصرة وفضائها الدرامي إلى حوار ناطق بين ذات المصور وعدسة الكاميرا.

« صاح نهاد كيف أصور هذا المشهد
كيف أضيء الروح..
وأشعل هذا الجسد المنهد » ؟

وتتوالى المقاطع على ذلك لمنوال وفي كل مرة يعمد الشاعر من خلالها إلى إنارة فضاء الطفولة وبراءتها من خلال تشابك الرسوم وامتزاج الألوان وتوتر المضامين والمقاصد.

II ـ الأنموذج النواسي :

لما كانت بنية القصيدة في شعر عبد الله مالك القاسمي من باب الشعر الحرّ فإننا لا نستطيع أن نعثر على مرجعيات واضحة على غرار أنموذج الخمريات والذي يمثله خاصة أبو نواس في قصائده العمودية ولكن مع ذلك

بامكاننا أن نتبين استلهاما وتضمينا من خلال المضامين والمجازات التي قد تذكرنا على نحو ما بالبعض من صور ومجازات لأبي نواس مثل المجاز المشهور في نقده للشعراء الذين يقفون على الأطلال :

«عاش الشقي على رسم يسائله

وعجت أسأل عن خمارة البلد»

ففي قصيدة للقاسمي بعنوان «وأسمي» نستطيع أن نعثر على مناخ يذكرنا بعالم أبي نواس المتسكع رفقة عصبة من رفاقه في مدن «البصرة» و «الكوفة» بحثا عن خمارة للتساقي أو للتنادم.. كما يمكن أن يذكرنا بعالم بودلير.

يقول الشاعر :

«هذا أنت..

من رجل الشرطة إلى رجل شاعر

إلى رجل المسجد إلى رجل البار

يا أيها الشاعر التقي الفاسق العاقل المجنون..

كيف رسمت الفوضى في هذا الشارع الأنيق؟

... هذا أنت..

أصبحت تهذي

تخليت عن عقلك

تخليت عن الشعر..

عن الوزن والقافية..

... قد تهذي...

قد لا يعرفك الأصدقاء

قد ينكرك الشعراء

آه... ستهذي كثيرا

ستموت كثيرا...».

وفي قصيدة «تداعيات عبد الله في حضرة القصيدة» نجد أيضا ذكرا للخمر باعتباره زوجا للقصيد وذلك في المقطع الرابع :

« أصدقائي

أطردوا هذا المساء

كيف يغفو بيننا

بيننا شعر وخمر

بيننا...

شجر القلب نما...

وبساتين من الأقمار والريح القديمة...»

قد نستكشف فضاء سيميائيا يحيل إلى الخمريات في قصائد أخرى مثل قصيدة «الساعة العاشرة» أو قصيدة «حالات أولى» ولكننا نستدرك ولا نجزم بتأثير سلطة الأنموذج النواسي على الشاعر ذلك أنه سرعان ما يفصح عن خجله من تقمص هذا النمط لا على مستوى السلوك ولا على مستوى الكتابة فكأننا به يعود إلى وعيه... لا الأخلاقي فقط بل الإبداعي كذلك فتتحول وجهته إلى تبني أنموذج آخر أكثر أصالة وأكثر صفاء وبراءة. فها هو في قصيد «الحالات الأولى» يجاهد نفسه ليتخلص من عصابة السوء ويعود إلى سكنه البريء ولكننا نجده في قصيدة «الساعة العاشرة» يحن من جديد إلى فضاء «البار» وقبل أن يغلق أبوابه و «يغازل نجوما تنام على الأرصفة وطيور باب البحر يخايلها النعاس» ثم يتساءل عن مآل العاشقين فيما تبقى من الليل. وقد نجد في

قصيدة «غيمتان وخريف» آثارا غائمة من تأثير سلوك الشاعر الفرنسي «شارل بودلير» فاذا بنا نتابع عبر المقاطع آثارا لضياع وتيه الشاعر لا في فضاء الشارع فحسب ولكن كذلك في سبيل البحث عن الأنموذج الأرقى والأصيل للكتابة والأنموذج الأكثر تماسكا دون الحياد عن البساطة والشفافية الرومانسية.

«يمشي .. لا يعرف أن الشارع مندمل القلب
لا يعرف أن خطاه
ستؤذي هذا الحجر المجروح
يمشي.. لا يعرف من أين أتى..
وإلى أين؟
يمشي من غيم في القلب إلى...
غيم في العين...
....
ماذا سيقول الأعمى لعصاه؟!!.

III- أنموذج الهلاليات :

كأننا بالأنموذج الأصيل الذي يبحث عنه الشاعر للمحاكاة الشعرية، إنما هو مقيم في فضاء أسطورة الجازية الهلالية لذلك يتوجه الشاعر الى استلهام هذا الأنموذج التراثي وإحياء معالمه ورموزه الأصيلة ويمكن أن نجد في قصيدة «هذه الجثة لي» صدى لذلك وتجريبا غريبا... له خصوصية تضمينية وبنيوية تصدر عن هذا الاستلهام فكأنك بالشاعر يجرب هذا النمط من الكتابة وهو يبحث عن معالم رسم غائم لهذا الجنس من الكتابة الأصيلة لا يلبث أن يطمس حتى تنبعث فيه الحياة من جديد. فمنذ البدء يعترف الشاعر بجمود في لغته القديمة وفي كتاباته السابقة :

«.. كانت لغتي من حجر
ويداي بلا شجر/ينهشني وجعي
وبياض الورقة»

إنه اعتراف بتيهه وضياعه في التجريب قبل عودته إلى استلهام هذا الأنموذج الأصيل.

«سنة كنت بلا نوم
وبلا حلم أخضر
كان الليل/الليل بلا صبح
والنجم/الطفل بلا حدقة
سنة كنت أنادي الصحراء
أجوس خراب الروح..
خراب المملكة...»

ولكن هذا الضياع بل هذا الخراب الروحي وانما هو ضياع شامل وخراب ودمار وفتنة : (خراب الروح من القيم وفتن العروش والقبائل). يقول الشاعر :

«هل أرسم فوق الأطلال تواريخي
أم أحصي الآن رمادي؟
- سنوات من ظمأ تركض في حلق النهر
- سنوات من خيل تصهل في الريح
- سنوات من نار الفتنة تتقد
- سنوات من مزق
ومن خرق
ومن دول
- سنوات من امرأة لا تلد..

-سنوات من فقراء ومن شهداء
ومن شعراء وصعاليك؟.

وما يلبث أن يفصح الشاعر عن حقيقة هذه السنوات وحقيقة تواريخ بلاده وشعبه : انها تواريخ ضياع وغربة، غربة عن الأصل وعن الهوية : من أنا ؟ من نحن ؟ هل هذه البلاد بلادنا؟ وهل هذا الشعب شعبنا؟.. ثم ها هو يخرق ظلمة هذه الغربة فليست هي إلا ظلمة تيه وضياع وفقدان وعي ظرفي ويعترف بتأصله في تربة هذه البلاد على الرغم من الاتهامات الجارحة والمشينة... وعلى الرغم من الغربة التي تلفها فهي غربة الإنسان.

«... كنت أنادي
وأسمي الغربة سيدة للوقت
وسيدة للعرش
أمنحها مفتاح القلب
وهذا الشريان
أقول لها :
مولاتي، أيتها الغربة
ماذا لو أدعوك ملاذي؟
بيتي.. أطفالي.. شمسي.. قمري...
نومي.. سهادي..؟
ماذا لو أدعوك بلادي ؟...

ومن خلال هذا الرهان على الغربة/الوطن، يعترف الشاعر بنسبه إلى هذه القبائل الغريبة عن الأرض ولكنها أصيلة في عروبتها وفي انسانيتها : إنها قبائل بني هلال المتهمة بالتخريب...

« ما زلت أنادي
وغريبا أيتها الغربة ما دلت
هلاليا متهما بالتخريب
أرسم فوق الرسم دروبا وخطى
أحمل موتي بين يدي..»

ولكن ومهما تكن غربته القبلية والإبداعية من جهة نسبه الهلالي فانه لا يفتأ يتأصل في أعماق تربة هذه الأرض ويتآلف مع كل أحيائها وحشراتها وجرادها وأفاعيها ولا يضيع عن مضارب أهاليها.

فقاموس هذه الاحداثية أو الأنموذج الذي يعيده دائما وكلما استهدفه الضياع والتيه إلى منبته.

«.. لي قاموس البدو
وعادات البدو
لي ذاكرة الخيل
أعرف أعدائي وجراد الليل
أعرف طرقي
ومضارب أهلي
...... ما زلت هلاليا متهما بالصحراء
ومتهما بالعرب؟ ....»

وفي هذا الموضع بالذات يحتد الشاعر ويتشنج ليصرخ متحديا التاريخ والمؤرخين ومتهما ابن خلدون بالكذب وتزييف الحقائق فبنو هلال لم يكونوا فقط مخربين وما قدموا للتخريب فقط وانما جاؤوا بقيم ومبادىء حضارية وانسانية، جاؤوا باللغة العربية وباعجاز القرآن وليست تلك القيم والمبادىء

إلا قيما ومبادىء أبناء العمومة من «حمير»(بكسر الحاء وسكون الميم وفتح الباء وسكون الحرف الأخير) يقول الشاعر:

«.. كذب التاريخ على التاريخ

كذب الراوي...

....

يا ابن خلدون صدقت مرارا

وكذبت علي «مرات»

هل أنت متهم بي»

ويستدرك الشاعر عبد اللّه مالك القاسمي ليدعو الجازية شاهدة على التاريخ بكل براءة وعفوية:

«قولي أيتها الجازية

والشمس هنا بازغة

والشمس هنا زائغة

قولي لبني صنهاجة

للقيروان

لتونس

ـ هل جئناك غزاة؟

أم جئناك بلسان عربي؟

فبأي لسان يتكلم هذا الحجر

وبأي لسان يهمس هذا الماء

وهذا الشجر؟

ومن استشهاد آخر بابطال الأسطورة الهلالية يتغنى الشاعر بأصالة عروبته وينير ما حجبه التاريخ من وقائع وما زيفه من حقائق وينفذ إلى ألطف وأدق الروابط التي تصل بين أبناء العمومة بني حمير: عرب المشرق وعرب المغرب ليحييها من جديد ويثبت عراها بكل عفوية ودون تزييف وانما بلغة براءة الطفولة: طفولة الشاعر وطفولة البداوة (بداوة بني هلال الأعراب).

ـ قلنا لبرابرة إفريقيا

ـ كيف نقاتلكم؟

أنتم أبناء عمومتنا من حمير

كيف نقاتلكم

وخليفة الزناتي لم يقتله ذياب

قتلته الرؤيا..

(قتلتنا الرؤيا)

(قتلتنا الرؤيا)

ولكن ما العبرة من هذا الجدل الشعري الروائي مع التاريخ الرسمي؟ وما هو الأنموذج الذي يحلم الشاعر باكتشافه وباعادة ترسيخه ومن خلال هذه العودة الى الايقاع الملحمي لأسطورة الجازية الهلالية..؟ لابد أن يكون المقصد متصلا بانموذج الأصالة: أنموذج الملاحم سواء أكان هذا الأنموذج متمثلا في شعر البداوة أو في الخمريات فبعودة هذا الأنموذج يعود الوعي إلى الشاعر إنسانا ومواطنا فيستيقظ من غيبوبة خمرياته ويغرب عن تيه بربريته المعتمة: هو ذا الخلاص إذا من زيف التاريخ ومن تيه الحضارات الغازية والمتصادمة... إنها العودة إلى إحياء الأنموذج الأصيل/الأنموذج الملحمي.

* هذه الجثة لي / مجموعة شعرية ـ الشاعر عبد اللّه مالك القاسمي ـ الدار التونسية للنشر 1992.

الصورة في شعر محمد الأمين الشريف : توظيف حاسة العين

بقلم :د. أحمد الودرني

I ـ توطئة :

سبق ان تكلمنا على الصورة في شعر منور صمادح(1)، وقد كنا انطلقنا وقتئذ من تعريف الصورة عند العرب والغرب وتوقفنا عند سؤال مهم : هل حاسة العين وحدها هي التي تفرز الصورة كما قال فولتير؟ وقد أفضى بنا التحليل إلى أن الحداثة في الصورة ارتبطت بتوسيع مدلولها فباتت تتجاوز حاسة البصر إلى سائر الحواس الأخرى، يقول أندريه لالاند في معجمه(2) :

"L'extension du mot image a des sensations ou des groupes de sensations autres que celles de la vue est toute moderne"

لذلك دار الكلام في الخطاب الفلسفي الحديث على أثر قنوات حسية مثل الطعم saveur والرائحة odeur والسمع audition في تشكل الصورة، فقد ذهب الفيلسوف إلى أن «كل نوع من الإحساس يترك في الذاكرة نوعا مناسبا له من الفكرة أو الصورة.. رأيت منذ حين صوتا أي إنني سمعت صدى له في ذاكرتي. إن هذا الصدى الذهني الذي تتم فيه إعادة انتاج الصوت بخصائصه هو الذي يمكن تسميته مجازا صورة سمعية image sonore ou auditive (3).. إن حديثنا عن صورة بصرية image visuelle يعني اقتضاء حضور ضروب أخرى من الصور يضيق المجال عن الخوض فيها، لذلك فإننا في إطار هذا المدلول الحديث للصورة، سنقصر نظرنا على الصورة البصرية في شعر محمد الأمين الشريف من خلال وظيفة حاسة العين.

II ـ صورة العين : التشكل والدلالة :

تشكل العين معنى مركزيا في خطاب الشعر بوجه عام لأن الشعر هو عبارة عن نافذة على العالم. إن العين هي واسطة هذه النافذة التي يتحقق عبرها العبور والحضور : عبور الذات إلى موضوعها وحضور الموضوع في الذات في جدلية ولود تتناسل من خلالها المعاني عبر إشعاعات لا متناهية للدلالة. ليس غريبا إذن أن يجتمع الشعراء في كل عصر ومصر على وصف العين حاسة ورمزا. فها هو جاك بريفير يتكلم على لسان حسناء في قصيدة «أنا كما أنا» وهي تتحدث في غنج مثير عن فتنة جسدها وعن عينيها المحاصرتين :

"Mes seins beaucoup trop durs
et mes yeux trop cernés
et puis après
Qu'est-ce que ça peut vous faire
Je suis comme je suis
Je plais à qui je plais"(4)

إن العينين تقعان إذن في خارطة الجسد المسكون بالمعنى الذي لا تحده حروف ولا تحتويه كلمات. فالنهد متصلب والعين تحاصرها العين ولا مندوحة عن البوح. هو بوح يتحول الشعر من خلاله إلى نهر دافىء تغرق فيه الروح على حد عبارة مالارميه فمن جفني الحبيبة سيتذوق الشاعر الخضاب الجاري مع الدموع ليرى مدى قدرة القلب الجريح على أن يكون في صلابة الحجر :

Mais ta chevelure est une rivière tiède
Où noyer sans frissons l'âme qui nous obsède
Et trouver ce Néant que tu ne connais pas !
Je goûterai **le fard pleuré par tes paupières,**
Pour voir s'il sait donner au cœur que tu frappas
L'insensibilité de l'azur et des pierres(5)

إنها العين مصدر الرقة والقوة في آن، فمن الدموع تولد القدرة على المواجهة وخوض الصراع. فلئن سكر مالارميه بمسحوق الزينة المتحدر من جفني حبيبته فإن الدمع عند الشاعر التونسي محمد الأمين الشريف هو دمع مشاكس، يقول الشاعر في قصيدة (الدمع المشاكس) :

«يشاكسني دمعك اللؤلؤي
ويدفعني لسباق شجي
علام تريدين توأم روحي
منافستي في البكاء الشقي ؟
ألا فاعلمي أن عيني مدارتان
فإن شحتا تغلبان فاتنتي
أي قطر سخي»(6).

إنها مشاكسة بين العاشق وعيني الحبيبة تفضي إلى التسابق في البكاء. هو الدمع الهتون الذي جعل عنترة يبكي بالدم القاني عندما فنيت دموعه. إن دموعا في غزارة القطر السخي لتصور حجم الأحزان التي أثقلت شعراءنا القدامى وتثقلنا اليوم على لسان هذا الشاعر وقد تجاوز تصوير العين على أنها عنصر أساس في خارطة الجسد إلى تحميلها من المعاني ما قد يضيق المقام عن الخوض فيه، فلم هذه الرغبة الوحشية في البكاء على حد عبارة بدر شاكر السياب ؟

إنه البكاء المثقل بالحنين والحب الموجوع : حب موجوع لتونس :

«حبك المتجذر
في منبت القلب
والمتفرع دالية
عرض عمري
يبرح بي
يحتوي كل صحوي
فيفضحني دائما
في حنينك دمعي
ويسبقني وجعي
كلما داس عرضك
منتحل متجني»(7).

وهو حب موجوع لمدينة «نفطة» بالجنوب التونسي، نفطة التي لم يشبع العاشق من النظر اليها :

«وعيوني صوب عيونك ردمانا
فأنا أطمع أن أحظى منك

بمكرمة وجواب

فهلا تكرمت وبحت عيانا»(8).

هكذا تصبح العين هي مصدر اليقين بعد أن قضى الشاعر زمانا في البحث عن الحقيقة بين الزوايا و «الصالحين» أبو علي السنّي والشيخ حميد وغيرهما من شيوخ الطريقة.. بذلك تصبح العين هي مصدر المعرفة وهي معرفة أشبه بالمعرفة العقلانية التي يكفر أصحابها بالخرافة لذلك يتوسل لنفطة أن تكشف له الخفايا بعيدا عن أهل الزوايا وذلك عبر فك طلاسم الكلمات:

«إن أنت كشفت لي الخفايا

وأمطت قناع الأحرف والأسماء

لأختار جهارا سابلتي

في هذا الزمن الذئب

وأرتاد صوابا.

مولاتـــــــــــي

ما عدت أنا أؤمن بشيوخ طرائقنا

كل منهم يتحدث عن ورده

ولهذه الأوراد حكايا

وكل يتظاهر بالقربى للّه

ليغنم نعما وثوابا(9).

هو الحجيج إما إلى نفطة ونخيلها وإبائها يستلهم منه الشاعر أنشودة الكفاح والقدرة على مقارعة الخطوب وإما إلى عيني المرأة الرمز التي تتحول عيناها إلى واحة ينزع الشاعر في ظلالها أتعابه وهو يؤدي فروض الطاعة في موقف قدسي مهيب:

«في حضرة عينيك استرجعت يقيني

وتوجست مرامي

وقرأت وصاياي

ومارست طقوسي وصلاتي

قبلت الحجر الأسود

عانقت إلهي»(10).

من الرغبة المجنونة في البكاء إلى الحنين إلى الوطن الذي يبدو الحقيقة الناصعة الوحيدة في حياة الشاعر إلى الفزع إلى عيني المرأة هربا من الأحزان إلى الدموع الثائرة التي ترفض الخضوع والاستسلام:

«وما لي أنا

حين أبلى بمظلمة

لا يفيض امتعاضي ؟

وهل أحبس الشرر المتناثر غيضا

من مآقي لحاظي؟»(11).

هكذا تتحول الدموع إلى موقف من السائد المتدهور، بذلك يتجاوز الشاعر البكائية الرومنطيقية التي لا تخرج عن الشكوى والتبرم إلى وصف للأحزان يتجاوز الشاعر من خلاله الرفض السلبي إلى ترسم المستقبل رغم الكوارث والمحن، ففي قصيدته (أنا لا أحب المراثي) التي أهداها إلى روح الشهيد «خليل لوزير» يرفض الشاعر البكائية:

«كفانا مراثي

وخلوا الحمام يعود

لينشد للبطل النائم المطمئن

ملودية الخلد كل مساء

كفانا مراثي

وخلوا شباب الحجارة

ينقش أحجار أقواسه

بابتداع

هو النصر لا ريب آت

ورب الضياء»(12).

ما أشبه الأمس باليوم : لكل حقبة «خليلها» ولكل مرحلة شهداؤها، وكم تتألم العين وهي ترى لون الحداد يكسو الهامات والرقاب، إنه ليل العرب الحزين صاغه محمد الأمين الشريف بجمالية عالية ونبرة مؤثرة :

«وإن كنت أرثي

لأرثي الذين تلاشوا

وذلوا أمامه مثل الخراف

وخروا قبالته كالذباب

فراموا الخيانة والغدر قصرا..»(13).

هو الشهيد يتسلل الجرذان اليه متخفين ببراقع الخيانة والغدر معللين النفس باغتيال العروبة ورموزها لكن :

«العروبة لن تتجزأ

والشعب رغم اختلاف مشاربه واحد

والقضية واحدة

تشغل العرب

ملء الجنان

وملء اللحاظ»(14).

لقد أردنا بالصورة البصرية ما تراه العين الشاعرة من مشاهد بدءا بمشهد المرأة كما درج شعراء الغزل التقليديون على وصفه، ولم يكن الشاعر بذلك حفيا لأنه طوع حاسة العين ليرسم بها للقارىء جملة من المشاهد التي يتقاطع فيها العذاب مع العذوبة والموجود مع المنشود.

مشهد الوطن على صعيد الموطن (الجريد بوجه عام) وعلى الصعيد الوطني (من خلال التغني بتونس العمق والانتماء) وعلى الصعيد القومي وذلك من خلال توصيف الشاعر الحي للجرح الفلسطيني أو من خلال تغنيه بانتصار العراق على الفرس عند تحرير «الفاو» فقد قدم الشاعر تشكيلا لصورة «الفاو» في شكل حسناء حوراء العين :

«هذه الفاو

تنبت من رحم الماء

وضـــاءة

في حلي عروس

عشية زفتها

بعدما غمصت

في سباخ الجحيم

فرسية خاطفها

هي ذي تتألق

في انبهار سماحتها

عراقية الحسن حوراء

يعبق طيب بكارتها

متدلهة اكبر

تكبر داخلها

«فنطزية» نصرتها»(15).

لقد رمنا التوقف عندما رآه الشاعر ببصره

الفني بما يعنيه البصر الفني لدينا من جمع ذكي ودقيق بين التبيين والتعجيب على حد تعبير الفلاسفة. وقد أردنا رصد بعض المشاهد انطلاقا من حاسة العين فتبين لنا أن الشاعر لم يكن حفيا بتسجيل الواقع الأليم بقدر ما كان حريصا على التعامل معه بواسطة التصوير تعاملا فنيا تجلى من خلال توظيفه للرمز والأسطورة والشخصيات التراثية والمخيال الشعبي بوجه عام بالاضافة إلى استغلال طاقات الكلمة المجازية على نحو جعل الخطاب في عديد الأحيان يسمو عن مألوف الكلام. إن المتصفح لمجموعتي هذا الشاعر يجد أن أول ما يتبادر إلى ذهنه طغيان الشكوى لكنها لم تكن في تقديرنا شكوى فردية رومنطيقية بقدر ما كانت شكوى من الوضع العربي المتدهور واستشرافا لمنشود طال انتظاره وألما لما يحيق بأمة العرب من تنكيل وتدمير، وبالرغم من المحن والإحن يصر الشاعر على مشهد «هيلان» وهي تعانق «أوليس» في استدعاء صريح لقصة «ألف ليلة وليلة» وفي نبرة متفائلة ينتظر صاحبها الشمس من وراء الغيوم على حد عبارة لونفلو :

«هناك على جزيرة في الخليج

رأيت هيلان

وهي تعانق «أوليس»

وتفصح عما خفي من الكلام المباح»(16).

المراجع :

1) أحمد الودرني : الصورة الشعرية ورهان المعنى في شعر منور صمادح، ضمن أعمال «مهرجان الشعر العربي الحديث بتوزر» الدورة 25 في الشعر التونسي الحديث. تونس/منشورات اتحاد الكتاب التونسيين ط1 ـ 2005 من ص 73 إلى ص 91.

2) André Lalande : Vocabulaire techniques et critiques de la philosophie. Rd PUF 1988 P. 465

3) نفسه ص 465 ـ 466

4) Jacques Prévert : Paroles. Ed Gallimard 1949 P. 118

5) iStéphane Mallarmé : Poésies, Bookking International, Paris 1993 P. 28mard 1949 P. 118

6) محمد الأمين الشريف : رشح الجنان. تونس، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم ط 2000 ص 47

7) محمد الأمين الشريف : وجيب الوطن الجريح. تونس ـ الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم ط 2000 ص 7 ـ 8

8) نفسه ص 18

9) نفسه ص 18 ـ 19

10) نفسه ص 69

11) نفسه ص 72

12) نفسه ص 38

13) نفسه ص 40

14) نفسه ص 44

15) نفسه ص 91 ـ 92

16) محمد الأمين الشريف : رشح الجنان ص 139.

آيفان تورغينيف

الكاتب الحر المعتدل وسط عواصف روسيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر...
(الجزء الثاني)

بقلم: حسونة المصباحي

وكان ايفان تورغينيف قد سافر الى باريس عام 1848، أي في نفس السنة التي فقد فيها صديقه بيلينسكي، ليعيش هناك احداث الثورة التي هزّت فرنسا، وليواكب أحداثها عن كثب. وأول شيء لمسه من خلالها هو نفاق البورجوازية، ومكرها، وخداعها للطبقة العاملة التي أظهرت شجاعة كبيرة خلال تلك الثورة القصيرة، ومتأثرا بما عاشه وشاهده في باريس، كتب ايفان تورغينيف روايته «رودين». وتعكس هذه الرواية التطورات الايديولوجية والسياسية التي عاشتها روسيا في الخمسينات من القرن التاسع عشر، وفيها لم يهتم تورغينيف بالحياة الاجتماعية للطبقة الاقطاعية كما فعل في القصص التي كتبها حتى ذلك الحين، بل ركز تركيزا قويا على الجوانب الفكرية والأخلاقية للطبقة المذكورة. فرودين، البطل الرئيسي في هذه الرواية، يمتلك أفكارا مثالية سامية. وهو متحدث لبق، وساحرتماما مثل بوكونين. وهو يعبّر عن افكار تورغينيف، لكنه ينهار عند أول اصطدامه بأول أزمة تصادفه. وعندئذ يقول صديقه : «لقد كانت أهدافه سامية غير انه لم يكن يمتلك لا الدم ولا قوة البأس». لكن، بعد فترة موسومة بالفشل والضياع، يقرر رودين ان يكون في مستوى الافكار والمثل التي يدافع عنها، فيرمي بنفسه وسط ثورة 1848 بباريس، ليستشهد هناك فوق المتاريس التي أقامها العمال الثوريون.. وبشأن واية «رودين» كتب أحد النقاد يقول : «لقد فضح تورغينيف البؤس الروحي الذي يعيشه اقطاعيو الريّف الروسي (...) ومن خلال السرد الروائي نعرف أن رودين اقطاعي فقد ثروته، كذلك نعرف انه انسان ذكي، طيب، يتفجّر حبا للحقيقة. فقد درس في الحلقات الفلسفية لذلك هو خطيب بارع ذو منطق لا يجارى (...). لكن من خلاله، يدين تورغينيف ابتعاد الطبقة الاقطاعية المثقفة عن الواقع الحقيقي لروسيا، ومطالبها بتطوير مفاهيمها الفلسفية وتسخيرها لخدمة المجتمع الروسي كي تجد التطبيق الفعلي لها على الأرض الروسية، فنسمعه يقول على لسان شخصية ليجنيف : «لا تستطيع روسيا ان تعيش بدون أيّ منا. لكننا لا نستطيع أن نعيش بدونها. الويل لمن يفكر بذلك، وويلتان

نشر الجزء الأول من هذه الدراسة في العدد السابق 76/77.

لمن يعيش بدونها فعلا!».

وفيما بعد علّق مكسيم غوركي على شخصية «رودين» قائلا : «ان رودين هو باكونين، وهو غيرتسن، وهو تورغينيف نفسه أحيانا. ان هؤلاء الناس لم يقضوا حياتهم عبثا بل خلّفوا لنا إرثا رائعا.

أقام تورغينيف في باريس عامين واجه خلالهما ضائقة مادية كبيرة ذلك ان والدته قطعت عنه المساعدة المالية التي كانت قد وعدته بها قبل سفره. وفي عام 1850، عاد الى بلاده ومعه وثائق هامة مده بها الكسندر غيرتسن، الثوري الروسي المغضوب عليه من قبل النظام القيصري. وعندما نزل من الباخرة التي أقلته الى ميناء سانت بطرسبورغ، حملق فيه جميع الذين جاءوا لاستقباله مندهشين، ذلك ان الشيب كان قد غزا شعره رغم انه كان في سن الثالثة والثلاثين! وفي نفس هذه السنة، سنة 1850، توفيت والدة تورغينيف، وكانت في السبعين من عمرها، فرثاها بجملة واحدة : «اية امرأة كانت! ليغفر لها اللّه كل ذنوبها.. ولكن أية حياة عاشت!». وعند توزيع التركة بين الوارثين، تنازل تورغينيف عن القسم الأكبر من نصيبه لأخيه، مكتفيا بضيعة سباسكويه. ووفاء للأفكار التي كان يحملها، أعتق تورغينيف الأفكار التي كان يحملها متسبّقا بذلك قانون الغاء العبودية بسنوات طويلة.

وفي ضيعة سباسكويه التي ذهب اليها مبعدا من قبل السلطات القيصرية، انكب تورغينيف على الكتابة والقراءة والتأمل في شؤون حياته، وفي شؤون مجتمعه.. وقد روت السيدة ماريا تولستايا بعضا من ذكرياتها في سباسكويه قائلة : «كان يزورنا كل يوم. بل كان يؤكد انه يزورنا بارتجاف، وبشعور بالذنب نحو ما هو محظور عليه، ذلك لأن بوكروفسكويه كانت تقع في قضاء تشيرن، بينما كان عليه ان لا يتجاوز حدود قضاء متسينسك، وكان على الشرطة المحلية أن تضع رقابة دائمة على التزامه بمكان اقامته، وعلى ممارساته وسلوكه. ولكنه كان يقول ذلك مزاحا. وكان يقصّ علينا بشكل فكه كيف كانوا يبلغونه، مرة في كل شهر أنّ «الشرطي في الرواق جاء للتحري». وكان أحيانا يصرفه في التو واللحظة، وحتى من دون ان يسمح له بأن يراه، وأحيانا كان يجعله ينتظر عن سهو أو لانشغاله أو لتغيبه. وبعد ذلك يتذكره تورغينيف ويرسل 10 روبلات الى سجّانه العبوس معتذرا. فكان هذا الممثل الطيب النفس للسلطة البوليسية ينصرف مسرعا، وينحني عدة مرات متمنيا دوام الرفاهة والنجاح في كل الرغبات والمطامح. وكان تورغينيف يضيف ضاحكا : «الاول لم أعطف عليه أنا، والثاني لم يعطف عليه من أرسلوه». وتضيف السيدة ماريا تولستايا قائلة : « وقد احتفظ تورغينيف بذكرى رهيبة عن بعض ما كان يجري في المعتقل تلك الأيام. فقد كانت

حجرته تجاور الحجرة التي يتمّ فيها جلد المساجين، وحيث كان يجلد الأقنان الخدم المذنبين الذين أرسلوا من قبل مالكيهم الى المعتقل. فكان صاحب «مذكرات صياد» مرغما ان يسمع باشمئزاز وتأثر بالغ، وقع هراوات الجلد، وصراخ المجلودين».

وفي عام 1853، رفعت الاقامة الجبرية عن تورغينيف فعاد الى سانت بطرسبورغ ليستقبل استقبالا حاراً ووديا من قبل رموز الأوساط المثقفة فيها. وقد أقامت هيئة تحرير مجلة «المعاصر» التقدمية حفلا بهيجا على شرفه. غيرأن تورغينيف لم يطل الاقامة في سانت بطرسبورغ، فقد شعر أن ضيعة سباكسويه يمكن أن تكون المكان المريح لانجاز المشاريع الأدبية التي كانت تعتمل في ذهنه. بذلك عاد اليها باقصى سرعة.

* * * *

في نهايات خريف 1855، عاش تورغينيف حدثا ثقافيا هاما آخر في حياته. فقد التقى بشاب في السابعة والعشرين من عمره، كان يعمل ضابطا في سلاح المدفعية، ويدعى ليون تولستوي. وكان هذا الأخير قد تعرف على صاحب «رودين» و «مذكرات صياد» خلال اقامته في ضيعة سباسكويه وذلك من خلال الرسائل التي كان يتلقاها من اخته ماريا تولستوي، وعقب هذا اللقاء قام تورغينيف بتقديم الكاتب الشاب، الذي هو ليون تولستوي، الى أسرة تحرير مجلة «المعاصر» التقدمية. وسوف يظل هذا الأخير يعترف بهذا الجميل حتى بعد أن أدركته الشهرة حيث كتب يقول في رسالة بعث بها الى إلى تورغينيف : «اعترف انني مدين لك بشهرتي الأدبية، وأتذكر حبّك لي ولما كتبت. ويمكن أن تجد انت أيضا مثل هذه الذكريات عني، فقد كان وقتا أحببتك فيه باخلاص».

عقب لقائه بتولستوي بحوالي عام، وتحديدا في الحادي والعشرين من شهر يوليو/تموز 1856، قرر تورغينيف السفر مرة أخرى إلى باريس، لزيارة ابنته التي كان قد تركها في رعاية حبيبة قلبه وروحه المغنية بوليتا فياردو التي كان قد هام بها في سنوات شبابه الأولى وذلك عند قدومها الى سانت بطرسبورغ في خريف عام 1843، بصحبة فرقة الاوبرا الايطالية، وكانت آنذاك في الثانية والعشرين من عمرها. غير انه لم يمكث في باريس الا قليلا، بعدها توجّه الى لندن ليلتقي هناك بصديقه القديم الكسندر غيرتسن، وليقدم له عرضا مفصلا ودقيقا عن الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية في روسيا...وفي نهاية هذا اللقاء، خاطب غيرتسن تورغينيف قائلا : «لن نستمر في جدلنا.. فأمامنا هدف واحد.. لنكرّس جهودنا من أجل تحطيم تلك الأسوار التي تعيق التطور الحرّلقوى شعبنا».

ترك تورغينيف لندن وهو مضطرب النفس، مرتابا في امكنياته الأدبية. وقد ازدادت احواله النفسية سوءا عندما شعر ان حبه

لبوليتا فياردو حب يائس، لا يمكن أن يمنح نفسه السكينة والسعادة العاطفية، ومحاولا التخلص من كل هذه المشاعر السوداء التي أصبحت تلاحقه في الليل كما في النهار، هام تورغينيف على وجهه في اوروبا.. وها هو في برلين، وفي بادن بادن، وفي مرسيليا، وفي جنوة، وفي روما، وفي نابلولي، وفي فلورنسا، وفي فيينا، وفي درسون، وفي لايبتزيغ... وفي غيرها من المدن.. وفي النهاية حطّ رحاله في روسيا، وتحديدا في ضيعته بساكسويه حيث انكبّ على العمل من جديد، ليكمل رواية أخرى حملت عنوان : «العش الاقطاعي» وذلك في نهايات عام 1858، وفي هذا الرواية عاد تورغينيف مجددا الى موضوع الاقطاع في روسيا، وذلك من خلال شخصية فيدور لافريتسكي الذي يفشل في تنفيذ رغبته في تحسين أوضاعه . وقد تزوّج لافريتسكي من امرأة جميلة، طائشة تخونه، فيفر الى الخارج ليعيش حياة ماجنة. وفي النهاية يعود الى وطنه، ويتزوج من امرأة بسيطة، فتكون حياته معها سعيدة. وعندئذ يشعر انه قادر على تحقيق الأحلام التي كانت تراوده من قبل. وقد علق أحد النقاد على هذه الرواية قائلا : « وكما عوّدنا تورغينيف على انتقاء أبطاله من الحياة المحيطة به، نجده يختار شخصية لافريتسكي بين أصدقائه. ان لافريتسكي هو بالذات صديق تورغينيف، بمظهره وسماته، بمعاناته ومأساته. وهو لا يختلف عن بطل الرواية الاّ في خاتمتها حيث كانت حياته حافلة بالعمل والجهاد». ويضيف نفس الناقد قائلا : «ان التصوير الرائع لأحاسيس لافريتسكي وهو يعاني الغربة والكآبة، ثم وهو يعود الى وطنه بعد فراق طويل هي ذات مشاعر تورغينيف عندما عاد الى روسيا بعد جولته الطويلة في اوروبا (...) ومثلما عوّدنا تورغينيف، فانه ينطلق من موقف واقعي صادق فيصورّ لنا فشل البطل الإقطاعي المتنور في فترة اربعينات القرن التاسع عشر في روسيا، وفشله في قيادة المجتمع حيث أثبت عدم قدرته على تحقيق أهدافه في الحياة. فنشاهد لافريتسكي في نهاية الرواية مستسلما لمصيره الحزين، قائلا: «مرحبا أيتها الشيخوخة الموحشة، ولتحترقي أيتها الحياة العديمة الفائدة».

* * * * *

أبتداء من الخمسينات من القرن التاسع عشر، بدأت روسيا تعرف تغيرات هامة في بنيتها الاجتماعية، وتواجه في نفس الوقت أزمات خطيرة على مستويات متعددة. فقد كشفت حرب القرم (1853 ـ 1856) فساد النظام الاقطاعي ـ القيصري وذلك من خلال الهزيمة المذلّة والمهينة التي مني بها الجيش الروسي في الحرب المذكورة. وكانت النتيجة ان الانتفاضات الشعبية تعددت وتكاثرت في جميع أنحاء البلاد، وظهرت حركة عصيان حتى في المؤسسات التي كانت معروفة

بولائها للنظام القيصري. وأمام هذه الأوضاع الجديدة، آزدادت الحركات الثورية راديكالية، واكتسح المشهد مثقفون من الطبقات الوسطى، ينادون بالاطاحة بالنظام القيصري عبر ثورة مسلحة. وأما المثقفون من أصول اقطاعية مثل تورغينيف والذين كانوا يطالبون باصلاحات على المستوى الاجتماعي والسياسي، وباجراءات ديمقراطية وليبيرالية تضع حداً للاستبداد والتسلط والاستغلال الذي تعاني منه الأغلبية الساحقة من الشعب، فانهم فقدوا نفوذهم القديم، ليجدوا أنفسهم شبه مهمشين، فلا هم من النظام، ولا هم من المعارضة. وقد دفعت هذه الأوضاع الجديدة بتورغينيف الى التفكير في وضع اطار جديد لرواياته، والى البحث عن أبطال «يمتازون عن سابقيهم بوضوح الهدف والإصرار على تحقيقه». وهذا ما كشف عنه في إحدى رسائله قبل ان يشرع في كتابة روايته الجديدة «في العشية». حيث كتب يقول : «لقد وضعت في أساس قصتي فكرة ضرورة وجود الشخصية البطولية الواعية... من أجل ان تتطور الأمور الى الأمام».

وبالفعل، نحن نعثر في رواية «في العشية» على أن الأمور بدأت تتطور حقا الى الأمام، عند تورغينيف. وأول شيء تجدر الاشارة اليه هو أن مؤلفها حرص على نشرها في مجلة «المعاصر» التي كانت قد أصبحت أكثر راديكالية من السابق بسبب انفصام مثقفين من اليسار الجديد الى أسرة تحريرها. ولعله فعل ذلك لإقناع هؤلاء المثقفين القادمين من الطبقات الوسطى، بانه يتقاسم معهم العديد من الأفكار والأطروحات.

بطل رواية «في العشية» التي صدرتعام 1860، شاب بلغاري يدعى ديميتري انشاروف، يقرر أن يعود الى وطنه ليناضل ضدّ المحتلين الأتراك، فيجد العضد والعون والمساعدة عند ايلينا ستاخوفا، وهي فتاة فائقة الجمال تنتمي الى الاقطاعية لكنها تثور ضدها، وتنقلب عليها بعد ان عاينت انانيتها، وفقرها الذهني، وفراغ حياتها، واقبالها على كل ما هو تافه وسطحي ومبتذل. وقد كرهت ايرينا الحياة الخاملة التي كانت تعيشها، فثارت وتمرّدت، وباتت تتطلع الى حياة تتوقد بالنشاط والعمل المفيد والفعّال. وواصفا اياها، وهي تتوق الى ذلك، كتب تورغينيف يقول :

«كانت روحها تلتهب وتنطفىء وحيدة، فهي تضطرب كطير في قفص».

وعندما تلتقي يلينا بديمتري اينساروف، تشعر انه الشخص الذي يمكن ان أخذها الى العالم الرحب التي تبتغي العيش فيه، فتقطع علاقتها بعائلتها، ومعه تسافر الى بلغاريا قائلة له : «نعم يا ديميتري.. سنذهب سوية.. سأسير وراءك.. هذا هو واجبي».

لكن في الطريق الى بلغاريا، يمرض ديميتري انساروف. وخلال ساعات احتضاره، تقول له

ايلينا : «اوه.. يا الهي! دعنا نموت سوية ميته شريفة، مجيدة على الأقل.. هناك في وطنك، وليس في هذه الغرفة المقفرة». وبعد وفاة ديمتري، تكتب ايلينا رسالة اعتذار الى أهلها تؤكد فيها انه لا وطن لها غير وطن الرجل الذي أحبته حبّا صادقا. لذا فانها ستكمل المسيرة التي بدأها، وبدأتها معه. وقد علق أحد النقاد على شخصة ايلينا قائلا : «لقد عكس تورغينيف في شخص ايلينا ستاخوفا مدى تطور الوعي الاجتماعي عند المرأة التقدمية في ذلك الوقت. ان هذه الشخصية هي مساهمة فعالة في حركة الثوريين في الدعوة اليها».

أما عن ديميتري اينساروف، فقد رأى نفس الناقد ان المؤلف قدم من خلاله صورة واضحة للمناضل الصلب من أجل شعبه ووطنه. فما كان يؤلمه ويعذبه باستمرار هو افتقار المجتمع الروسي الى مثل هذا البطل، فكان يتساءل دائما : متى سيولد هؤلاء الأبطال في روسيا؟».

وقد أثارت رواية «في العشية» حال صدورها موجة عارمة من النقد. فمن النقاد من آعتبرها خطوة الى الأمام في مسيرة تورغينيف الروائية.. فمن ذلك مثلا، انه تخلّى عن ابطاله السابقين، الخانعين، الكسالى، والسلبيين الذين يحسنون التلاعب بالأفكار الثورية والتقدمية الجميلة، لكن عندما تحين لحظة الفعل، ينهارون، ويولّون الادبار هاربين. أما في روايته «في العشيّة» فقد اختار بطلا ايجابيا، يتمثل في شخص ديمياري اينساروف الذي يقبل ان يضحي بحياته من أجل حرية وطنه. غير ان نقادا آخرين، اظهروا في المقالات التي كتبوها بشأن الرواية المذكورة، ان تورغينيف، لم يتقدم الى الامام في عمله الفني كما يظن، وكما يظن البعض، وانما هو ظلّ يراوح مكانه. وقد تساءل هؤلاء النقاد عن السبب الذي جعل تورغينيف يختار بلغاريا بطلا ايجابيا، وليس روسيا.. وقد كتب أحدهم، وهو الناقد الراديكالي دوبروليوبوف يقول : «لقد كان اينساروف بطلا ايجابيا، وهذا شيء جيّد. لانه مستعد للتضحية بحياته من أجل وطنه. ونحن؟ نحن الروس، لنا اتراكنا أيضا. وهؤلاء الاتراك هم داخل بلادنا، وهم البلاط القيصري، والطبقة الارستقراطية، أو الجنرالات، والموظفون الكبار، والبورجوازية الصاعدة، وكل المستغلين الذين لا سلاح لهم غير جهل الجماهير، والقوة الفظّة». وفي نهاية مقاله، يشير دوبروليوبوف الى ان الهدف الحقيقي للمثقفين الثوريين والتقدميين لابدّ أن يكون العمل على «تدمير نظام لا إنساني»، وهو يعني بذلك النظام القيصري. وفي هذا السياق، هو يكتب قائلا : «علينا ألا نبدّد الوقت، ولا نخسر قوتنا وحيويتنا في الادانة السطحية لنظام قبيح، وفي انقاذ افراد من المظالم التي يتعرضون لها. فهذا لا يعدو ان يكون عملا بسيطا وسطحيا لا يرغب فيه الاّ الخاملون فاقدو الهمّة. أما نحن فنريد الثورة بهدف

وضع أسس لحياة جديدة.

* * * * *

مطلع الستينات من من القرن التاسع عشر آزدادت الأوضاع السياسية في روسيا القيصرية تعكّرا وسوءا دافعة بالراديكاليين من الثوريين الى المزيد من الراديكالية في مواقفهم، وفي أفعالهم. وهذا ما يفسّر ظهرز حركة «الأرض والحرية» التي تأسست عام 1861، والتي كان الهدف الأساسي منها تحريض الفلاحين على الثورة ضد النظام القيصري. ولأن القوى الراديكالية والمتشدّدة بدأت تقوم بهذا التحريض في البعض من مناطق البلاد، فإن السلطات القيصرية قامت باعتقال العديد منهم لترسل بهم الى سيبيريا. ولأن تورغينيف لم يدافع عنهم، فان الراديكاليين شنّوا هجومات عنيفة ضده. مع ذلك، شعر صاحب «في العشية» ان روسيا تتغيّر. لذا يتوجّب عليه ككاتب مرتبط ارتباطا شديدا بواقع بلاده أن يفهم الثوريين الجدد، العنيفين في أقوالهم وفي أفعالهم، والمتطرفين في أفكارهم وفي أطروحاتهم، والذين، برغم كل ذلك، يمثلون المستقبل. وكانت رواية «الآباء والبنون» هي ثمرة وعي تورغينيف بالواقع الجديد الذي بدأت تعيشه بلاده في ظل نظام قيصري ظلّ منغلقا على نفسه، رافضا للاصلاحات المطلوبة والمرغوب فيها من قبل الشعب، مانحا بذلك الفرصة للقوى الراديكالية والمتشدّدة لكي تكتسب شرعية الوجود والنشاط.

والموضوع الأساسي لرواية «الآباء والبنون» هو المواجهة والصراع بين الشيوخ والشبان، بين الأجيال القديمة والأجيال الجديدة، بين الليبيراليين والراديكاليين، وبين الحضارة التقليدية والفلسفة والوضعية الجديدة التي لا تعترف بأي شيء آخر الاّ بحاجيات الإنسان العقلاني.

وقد كان تورغينيف يؤكد دائما ان بازاروف، الشخصية الرئيسية في الرواية المذكورة مستوحى من شخصية طبيب روسي التقاه في القطار. غير ان الكثيرين قدموا أدلة قاطعة بأنه أي بازاروف - يجسّد شخصية الناقد الألمعي بيلينسكي. فهو مثله ابن طبيب فقير، وهو مثله عنيد، وصريح، ورافض رفضا قاطعا لأي رأي مخالف لرأيه. ومثله هو ينفجر غاضبا أمام الجبناء، والمتردّدين، وأصحاب العقول الخاملة.

وبازاروف في رواية «الآباء والبنون» طالب في كلية الطب، وابن طبيب يعمل في احدى المدن البعيدة. وخلافا لأبطال تورغينيف السابقين الذين ينحدرون من أصول إقطاعية وارستقراطية، هو ينتمي الى عامة الشعب، ويتميّز بشجاعة نادرة، وبارادة قوية، وبذكاء نادر. وكان بازاروف الذي يحترم الكادحين وبسطاء الناس الذين يأكلون خبزهم اليومي بعرق جبينهم، عدميا، رافضا للأوضاع القائمة، متمردا عليها. وبطبيعة الحال، كان

هذا يثير الرعب والفزع لدى الطبقة الاقطاعية. لذا يمكن القول انه يمثل القوى الديمقراطية الجديدة التي بدأت تظهر في روسيا انطلاقا من الخمسينات من القرن التاسع عشر. وأمام الهجومات الشرسة والعنيفة التي يشنّها عليها بازاروف، تقوم الارستقراطية بالردّ عليه من خلال شخص ينتمي اليها، ويدعى باقل كيرسانوف الذي يزعم ان القوى الديمقراطية «فئة قليلة وعديمة التأثير». لكن في النهاية تقودنا احداث الرواية الى انقراض الارستقراطية حيث يخاطب نيكولاي كيرسانوف أخاه باقل كيرسانوف قائلا : «وهكذا أصبحت وإياك في عداد المتقاعدين، وقد تلاشت أصواتنا. ومن المحتمل ان يكون بازاروف على حق»، فيرد عليه باقل كيرسانوف قائلا : «نعم أيها الأخ.. لقد حان الوقت لكي نوصي لأنفسنا بتابوت وأن تتقاطع أيدينا فوق صدورنا».

أثارت رواية «الآباء والبنون» عاصفة، بل عواصف هوجاء من النقد عند صدورها عام 1862. وكانت الاسئلة التي طرحها النقاد هي : من هو بازاروف؟ وكيف نحكم عليه؟ وهل هو بطل سلبي أم ايجابي؟ بل هل هو بطل أم شيطان؟ وهل يمثل حقا التقدم والحرية كما يدعي؟ ولماذا كره الأدب والفن الى حدّ العدمية المطلقة؟.

وفي حين اعتبر النقاد المحافظون ان تورغينيف ظلّ في رواية «الاباء والبنون» حريصا على وصف الواقع، رافضا الحكم عليه، فان النقاد التقدميين واليساريين هاجموه بشدة لم يسبق لها مثيل. من ذلك أنّ دوبروليوبوف قد اتّهم تورغينيف بانه أراد أن «يسخر» من القوى اليسارية والديمقراطية الجديدة من خلال شخصية بازاروف، مقدما عنها صورة بشعة، ومنفرة، لا علاقة لها بالواقع والحقيقة. والدليل الذي يقدمه دوبروليوبوف على ذلك هو أن بازاروف شاب متهالك على الملذات، محبّ للنساء والخمور، وغير مبال بالتالي بمصير الشعب رغم الأفكار الجميلة التي يطلقها بين وقت وآخر. لذلك يمكن اعتباره، بحسب دوبروليوبوف، حليفا للرجعية وللمستغلين بصفة عامة. ولم تتوقف الهجومات عند هذا الحد، بل قام نقاد يساريون آخرون بنشر مقالات وصفوا فيها صاحب رواية «الآباء والبنون» بـ «الغبي» وبـ «الحمار» وبـ «الثعبان» وبـ «يهوذا» خائن المسيح، وبـ «الشرطي»، وبنعوت قبيحة أخرى. غير ان الناقد الراديكالي بيساريف كان أرحم من هؤلاء إذ كتب يقول : «ربما يكون تورغينيف قد تعب بحيث لم يعد باستطاعته أن يرافقنا نحن رجال المستقبل. لكنه يعرف مع ذلك ان التقدم الحقيقي لا يمكن أن يتحقق على يد الذين لا يزالون مشدودين الى الماضي، ومتمسكين بالتقاليد وبالأفكار البالية، وانما هو يتحقق على يد الناشطين، والمتحررين، والمستقلين مثل بازاروف، الذي أدار ظهره للبكائيات

الرومانتيكية، وللتراتيل الدينية».

استاء تورغينيف كثيرا من الهجومات النقدية التي شنت عليه من كل جانب. وفي لحظة من لحظات الاحباط تساءل قائلا : «أنا لا أفهم لماذا يمدحني جنرالات قذرون بينما يقوم الشباب بشتمي واهانتي؟!». وفي مدينة هايدلبارغ الألمانية، ردّ تورغينيف على احتجاجات طلبة راديكاليين روس قائلا : «اذا ما لم يحب القارىء بازاروف كما هو، فظا، غليظا، بلا قلب، وبلا عواطف، جافا ومتهورا.. فان هذا خطئي. واعتقد اني فشلت في عملي. لكن ان «أزيّنه» وأقدمه في صورة جذابة وجميلة، فهذا لا يمكن أن يتم.. فأنا لم أكن أرغب في شراء شعبيتي بتنازل من هذا النوع. والأفضل أن أخسر معركة (وفي الحقيقة أنا لم أخسر معركتي) من أن أربحها بالخداع، وبمغالطة الآخرين».

ومرة أخرى ردّ على مهاجميه من اليساريين قائلا : «أنا فنان، ولست صحافيا. وأعمالي تعتمد على الخيال، لذا لا يمكن الحكم عليها اعتمادا على اعتبارات اجتماعية أو سياسية. وآرائي لا تمثل إلاّ نفسي. أنتم - (يقصد اليساريين) - لا تتجرأون على جرّ كتّاب من أمثال والترسكوت، وديكنز، وشاندال، وفلوبير أمام المحاكم الايديولوجية، وإذن لماذا لا تدعوني في سلام وأمن؟».

* * * * *

كنا أشرنا الى ان العلاقة توطدت بين تورغينيفوتولستوي. وقد قام هذا الأخير في شهر مايو/أيار 1861، بزيارة صاحب «الآباء والبنون» في ضيعته بسباسكويه وذات يوم دعاهما الشاعر فيت الى بيته حيث امضوا جميعا اليوم الأول في مناقشات أخوية وديّة للغاية. وفي صباح اليوم التالي، وعلى مائدة الافطار، اندلعت مشادة كلامية بين الكاتبين الكبيرين، أي تورغينيف وتولستوي. وقد وصفها مضيفهما، الشاعر فيت، على النحو التالي : «كان تورغينيف يجلس الى يمين ربة البيت وتولستوي الى يسارها. وعند ما سألته المضيفة عن المربية التي تشرف على تربية ابنته، راح تورغينيف يمتدح المربية بحرارة مشيرا الى انها طلبت منه تخصيص مبلغ من المال يوضع تحت تصرف البنت لتساهم به في الأعمال الخيرية، وأن تقوم البنت بخياطة ملابس الفقراء بيديها. وسأله تولستوي : «وهل تعتبر هذا عملا جيدّا؟». فأجابه تورغينيف : «طبعا.. هذا يجعل المحسنة قريبة من الاحتياجات الملحّة للفقراء..» وعندئذ قال تولستوي : «أما أنا فاعتقد ان الفتاة المتنعمة التي تضع فوق ركبتيها أسمال الفقراء انما تقوم بدور مسرحي غير صادق». فصاح تورغينيف : «أرجوك.. لا تتفوه بهذا!». فأجاب تولستوي : «ولماذا لا أقول الشيء الذي أنا مقتنع به». وهنا فقد دتورغينيف السيطرة على أعصابه وصاح : «بالاهانة سأجبرك على السكوت!». ثم نهض من وراء المائدة مسرعا

وتوجه إلى غرفة أخرى وهو مضطرب الخطوات. ولم تمض غير لحظات حتى عاد تورغينيف ليعتذر إلى ربة البيت عن تصرفه غير اللائق، ثم غادر الى ضيعته. ومن هناك ارسل رسالة الى تولستوي يعتذر فيها عما حدث».

وفي البداية كان تورغينيف يرتبط بعلاقة ودية أيضا مع دستويفسكي. وكان اللقاء الأول بين الكاتبين قد تمّ عام 1845. وكان واضحا ان دستويفسكي انبهر بشخصية تورغينيف خلال اللقاء المذكور، لذا كتب عنه قائلا : «انه شاعر عبقري.. وارستقراطي جميل، وغنّي ومثقف، انني لا أعرف شيئا حرمته منه الطبيعة. انه يمتلك روحا صريحة رائعة طيبة».

وفي شهر يوليو/تموز من عام 1867، التقى تورغينيف بدستويفيسكي مرة أخرى وذلك في مدينة بادن بادن الألمانية. وكان هذا الأخير قد جاء الى المدينة المذكورة ليلعب القمار في كازينوهاتها الشهيرة أملا أن يساعده ذلك على معالجة أوضاعه المالية التي كانت متدهورة دائما وأبدا. وفي البداية أسعف الحظ دستويفسكي، وسارت الأمور على ما يرام. لكنه خسر كل شيء في النهاية، اشليء الذي أجبره على الانتقال هو وزوجته الى شقة حقيرة تقع فوق محل للحدادة كانت تتعالى منه ضربات المطارق من الصباح الباكر وحتى ساعة متأخرة من المساء. لذا فان دستويفسكي كان محبطا ومتوتر الأعصاب عندما التقى تورغينيف.

وقد دار الحديث بين الكاتبين عن رواية «الدخان»، وهي رواية لتورغينيف، كانت قد أثارت هي أيضا ضجة عند صدورها. وفجأة انتفض دستويفسكي واقفا وصاح في صاحب الرواية المذكورة قائلا : «يجب أن تحرق هذه الرواية». وكانت هذه المشاجرة الساخنة سببا لقطيعة بين الكاتبين الكبيرين استمرت حوالي عشر سنوات.

وكان تورغينيف في مدينة بادن بادن عندما بلغه نبأ وفاة صديقه الكسندر غيرتسن وذلك في شهر جانفي/يناير 1870. وقد تألم صاحب «الآباء والبنون» شديد الألم لهذا الفقدان. وفي رسالة بعث بها الى أحد أصدقائه في باريس، كتب يقول : «مهما كانت الاختلافات في آرائنا، ومهما حدث بيننا من مشادات فهو الرفيق القديم، اختفى الصديق ـ فلتتحد صفوفنا !».

وكان تورغينيف لا يزال في بادبن بادن، لما اندلعت الحرب بين المانيا وفرنسا وذلك في صيف عام 1870، ومتأثرا بما كان يحدث من فواجع بسبب تلك الحرب، كتب تورغينيف يقول : «في المساء تسمع بوضوح من هنا أصوات المدافع وهي تدك مدينة ستراسبورغ التي احترق نصفها. وحتى عندما يستلقي الإنسان في فراشه، وراء النوافذ المغلقة، فان الأذن تلتقط أصوات الانفجارات والتدمير. وبشكل عفوي تسلم نفسك للأفكار والتأملات الفلسفية ـ التاريخية ـ الاجتماعية الكئيبة، فلم ينته عصر الحديد، ولما نزل متوحشين !».

وعند انتهاء الحرب، انطلق تورغينيف الى باريس التي كان يحبها أكثر من أي مدينة أوروبية أخرى. فقد كان يكنّ اعجابا شديدا للثقافة الفرنسية. وكان قد وطد علاقته بكبار ومشاهير ادبائها أمثال بروسبير ميريميه الذي كان يتقن اللغة الروسية، والذي قام بنقل «الآباء والبنون» الى لغة موليير. وكانت جورج صاند تعتبر تورغينيف «استاذا» في القصة، وكانت تقول عنه انه الكاتب الذي يجب أن يتعلم منه الأدباء المعاصرون. وكان فلوبير يكنّ له التقدير والاحترام. وكان توغينيف يعتبر رواية هذا الأخير «مدام بوفاري» : «أروع مؤلفات المدرسة الفرنسية الجديدة».

أما فلوبير فقد كتب اليه يقول بعد قراءته لمختارات من قصصه نشرت بالفرنسية : «منذ زمن وأنت لي أستاذ، ولكني كلما توغلت في دراسة أدبك ازددت اعجابا بعبقريتك.. فعندما أقرأ قصصك، أريد أن انطلق بزحافة وسط الفضاء الثلجي، وأن أستمع الى عواء الذئب، فأي فن تمتلك، وأي انسجام بين اللون والملاحظة، بين الرقة والسخرية، وأية يد واثقة ؟!».

وفي نهاية السبعينات من القرن التاسع عشر، وقبل وفاته بقليل، بدأت التيارات اليسارية الراديكالية تغفر لتورغينيف لحظات ضعفه، ومحاولاته الدائمة لتوضيح مواقفه للسلطات القيصرية، والازمات الشديدة التي كانت تمرّ بها بين وقت وآخر، علاقاته مع الصحفيين الروس، المعادين للنظام القيصري، والذين كانوا يعيشون في جينيف، وباريس، ولندن، وغيرها من المدن الأوروبية. وعندما مات عام 1883، كتب شاب راديكالي يقول : «مات تورغينيف، واذا ما التحق به الكاتب ستاشدرين، ومات هو أيضا، فانه بامكاننا أن ننزل احياء إلى القبر أيضا.. فبالنسبة لنا، كان هؤلاء الرجال يمثّلون البرلمان والاجتماعات، والحياة، والحرية...».

محمود بيرم التونسي :
حياته وشعره ومذكراته

بقلم : ساسي جبيل

I ـ حياته :

تيتم محمود بيرم التونسي صبيا فانقطع عن التعليم مبكرا وانبرى يمارس مهنا مختلفة لا علاقة لها أصلا بالفكر والفن والثقافة، عاش الرجل حياة لا تعرف الاستقرار وانتقل بين المنافي في باريس ودمشق وتونس وعددا من المدن الأخرى بعد ابعاده عن مصر نظرا لمهاجمته للملك فؤاد حاكم مصر ووالد آخر فراعنتها الملك فاروق.

راسل العديد من الصحف في تونس ومصر وسورية وحقق لنفسه شهرة واسعة لم ينغّصها إلا البعد عن الأهل والإبعاد عن الاسكندرية.

ولد محمود بيرم التونسي في 23 مارس 1893 بشارع البوريني بالسيالة في الأسكندرية لأب مهاجر من تونس إلى الديار المصرية في القرن التاسع عشر، مات والده وهو لم يتجاوز الإثني عشر عاما وتزوجت والدته بعد ذلك قبل أن تتوفى وبيرم في السابعة عشر من عمره، عمل نساجا ونجارا وبقالا وعانى من الغربة والابتعاد عن الأهل والأعزة، عاش بيرم التونسي متشردا لمدة تقارب العشرين عاما بين موانىء البحر الأبيض المتوسط بلا مأوى ولا أهل ولا وطن (1920 ـ 1940).

اشتهر كزجّال بأسلوبه اللاّذع وصراحته التي كانت تعرّي الواقع السياسي والاقتصادي في مصر وقهرها من الاحتلال الانقليزي القائم عليها بشكل سافر ورغم أنه كتب القصة والشعر إلا أن فن الزجل هو الذي رفع صيته واسمه في كل مكان...

اختار بيرم التونسي كتابة الزّجل حتى يكون أقرب إلى الناس ففي عصره كانت الأميّة تلقي بظلالها على شريحة كبيرة من أبناء الشعب فاوصل بالزجل أفكاره إلى الغالبية العظمى من الناس مركزا على المشاكل اليومية والعادات السيئة وكان ينشرها أولافي جريدة «المسلة» التي صدر منها 13 عددا وجريدة «الخازوق» والتي صدر منها عدد واحد وأوقفها الملك عن الصدور إثر نشرها قصيدة في هجاء زوج ابنة الملك (فوقية) والذي كان يعمل محافظا كما لم يكتف الملك بذلك بل اتصل بالقنصلية الفرنسية لترحيل بيرم باعتباره تونسيا لا يحمل الجنسية المصرية، فينفى في مرحلة أولى إلى تونس سنة 1920 فيلقى أقارب لم يرحبوا به ولم يتحمّسوا له فيرحل إلى فرنسا لكي لا يجد عملا ويعيش

على وجبتين في الأسبوع ومن هناك يلجأ إلى تغيير إسمه وتزوير جواز سفر ليعود به إلى الاسكندرية سنة 1923 ويعيش متخفيا حتى ينكشف أمره ثم يعود إلى فرنسا بنفسية متدهورة لكن حياته في فرنسا لا تستمر طويلا إذ أن البطالة كانت وراء مغادرته للأراضي الفرنسية مجددا نحو تونس ومن هناك سمح له بالسفر إلى سوريا ولبنان في أواخر 1927 لكن السلطات الفرنسية ظلّت تتابعه هناك لتصدر في النهاية أمرا بطرده. وفي طريق نفيه إلى غرب افريقيا وبينما تتوقف الباخرة التي تقله في ميناء بورسعيد يتمكن من الهروب.. ويظل في مصر مختفيا هاربا لكن أصدقاءه ومعارفه يبذلون المساعي لإصدار عفو عنه حتى يتمكنوا من ذلك ليعود الرجل إلى ممارسة حياته في مصر بكل حرية قبل أن يحصل سنة 1954 على الجنسية المصرية وينال سنة 1960 جائزة الدولة التقديرية ويتوفى سنة 1961 بالديار المصرية التي أحبها وتعلق بها أيما تعلّق حتى بات مواطنا مصريا رغم جشع السلطان وعيون الرقيب والمنافي والجوع والإبعاد... لقد عانى الرجل طوال حياته ولكنه كان مشدودا إلى مصر بحنين جارف لم يحد عنه ولم يقطع حبل الود بينه وبينها أيّة قوة كانت في طريقه المليئة بالفاقة والحرمان والقسوة...

II ـ شعره :

1) الاسكندرية

في الاسكندرية ولد وبها عاش ومع ناسها اختلط في شبابه قبل أن يرحل إلى تونس، فيها كتب وعنها غنّى أجمل الأغاني التي بقيت بعد حوالي 45 عاما من وفاته على ألسنة الناس والمولعين بشعره.

فعن مجلسها البلدي الموقر يقول :

إذا الرغيف أتى فالنصف آكله
والنصف أجعله للمجلس البلدي
يا بائع الفجل بالمليم واحدة
كم للعيال وكم للمجلس البلدي
كأنّ أمي أبلّ اللّه تربتها
أوصت وقالت : أخوك المجلس البلدي

كما كتب زجلا تحت عنوان (فراق) يبكي فيه الاسكندرية يقول فيه :

يا اسكندريّة ياللي زينة البحر
يا نور عينيّ عالشباب وعليكي
كتمت ناري من نهار البين في ضلوعي
وفضلت أداري عن عيون الخلق دموعي
فراق يا ريته كان فراق الموت وعزاكي

كما كان الشاعر متعلقا بمصر التي اتخذها وطنا رغم كل ما حصل له فيها. فمصر البلد كانت في روحه وقلبه. أما مصر السياسيين الفاسدين والأدباء المخبرين فكانت أمرا آخر :

يا مصر تتحدّث الأملاك بجمالك
في حي جبريل
من قبل فرعون وموسى الشمس ضاحكا لك
في صفحة النيل
حسنك لوحدك لا نسوانك ولا رجالك
من جيل ورا جيل

لقد كان للاسكندرية حضورها الكبير في

أعمال الرجل وكان للنيل النصيب الوافر من المعاني في أزجاله وأشعاره التي ملأ بها الدنيا وشغل الناس.

2) الغزل :

لم تمنعه مشاغل الحياة الصعبة والمنافي من اطلاق صرخات وجدانية صادقة في غزله الرقيق الذي يصوّر بمرح روح خفيفة الظل تتغنى بالحياة والحب والحرية.

في زجل النسوة يقول :

«في كل عام للورد أوان
إلا النسوان
بقدرتك نابتين ألوان
أبيض وأحمر»

وفي قصة «جيران بولفار» يقول :

«شوف الخفّة - أم الشعور فوق اللفة
غير أم الشعر طويل
والمقصوعة - ورجلها فوق أختها مرفوعة
تستنظر الطوموبيل
والحرانة - من المعاصم للكتاف عريانة
زي اللي غاسلة غسيل
والملفوفة - باين عصبها والنهود مكشوفة
ما خلّت إلا القليل»

3) المنفى :

عشرون عاما من الإبعاد تركت في الرجل لوعة وخيبة وخوفا لكنه تحدّى كل هذه الظروف بالكلمة في فرنسا وتونس ودمشق :

قضيت حياتي غريب في أرض فرنسا
يا ويحه من يدخل فرنسا غريب
لقيت كلام القوم شهد مكرر
لكن عيونهم تشتعل لهاليب

لم يكن المنفى بالنسبة له سوى بوابة للإبداع ومولدا للمعاني الخصبة والأزجال الرائعة التي بقيت على أفواه الناس يرددونها كلما تذكروا مبدعا إسمه محمود بيرم التونسي.

4) مشاغل الناس :

كان محمود بيرم التونسي يحسن تصوير واقع الناس وآلامهم لذلك كان الصدق والسخرية اللاذعة أهم ما ميّز أزجاله الاجتماعية التي صوّرت الواقع المصري في النصف الأول من القرن العشرين على حقيقته :

من كان يتيم ضاعت أهله
في البلد دي أهو ضاع
وإتمد من ضعفه وجهله
بالليالي وجاع
لو كان أسير كان على مهله
للذوات ينباع
لكن أهالي بلاد حرّة
شغلوه خدام

ثم يقول في موضوع آخر :

سكنت بيت في جوّا حاره، إسمه بيت رضوان
فيه كل ما تشتهيه، الفشه والمصران
من الصباح للغروب، أهجم على الذبان
ومن الغروب للصباح، أجري ورا الفيران

كما تعرض إلى حياة الكادحين والمظلومين والفقراء في أكثر من نص ومقال.

5) العودة :

في طريق نفيه إلى غرب افريقيا رست الباخرة في بورسعيد فتمكن محمد بيرم التونسي من

التسلل منها إلى الشاطىء ومن الشاطىء إلى بيت ابنته الكبرى التي لم تره منذ أن كان عمرها ثلاث سنوات، وأبلغ أهل الأدب عن بيرم السلطات الأمنية وكان الملك فؤاد قد مات وتولى الحكم ابنه فاروق الذي أقال النحاس باشا ومدح بيرم الملك فاروق في عيد ميلاده وتمكن الشاعر أخيرا من أن ينعم بالاستقرار والبقاء في مصر ليترك بعد ذلك السياسة ويتفرغ للإنتاج الفني والاجتماعي.

وفيما يلي مقطع من نص العودة والهروب في بورسعيد :

غلبت أقطع تذاكر
وشبعت يا رب غربة
بين الشطوط والبواخر
ومن بلادنا لأوروبا
وقلت عالشام أسافر
أياك ألاقي لي تربة
فيها أجاور معاوية
وأصبح حماية أميّة

ثم يقول متحدثا عن هروبه من الباخرة :

في بور سعيد السفينة
رست تفرغ وتملأ
والبياعين حوّطونا
بكارت بوستال وعمله
لكن بوليس المدينة
ما تزوغش جنبه نملة
يا بور سعيد والله حسرة
ولسه يا اسكندريّة

قبل أن يختم :

غلبت أقطع تذاكر
وشبعت يا رب غربة
بين الشطوط والبواخر
وبين بلادنا وأوربا
عشرين سنة في السياحة
بشوف مناظر جميلة
ما شفت يا قلبي راحة
في دي السنين الطويلة
إلا لما شفت البراقع
واللبدة والجلابية

كما يقول في موضع آخر :

«الأوله آه.. والثانية آه.. والثالثة آه..
الأوله مصر.. قالوا تونسي ونفوني
جزاة الخير واحساني
والثانية تونس وفيها الأهل جحدوني
وحتى الغير ما صفاني
والثالثة باريس وفي باريس جهلوني
ونا موليير في زماني

III ـ مذكراته :

«ليلة من ليالي قرونوبل» واحد من النصوص التي نشرت من مذكرات المنفى وواحد من بين عشرات النصوص التي صدرت في صحف ومجلات تونسية وعربية.

«كان حتما عليّ أن أغادر منزلي في الساعة الثانية صباحا لأصل إلى «فابريكة» الحرير في الساعة االرابعة. والمسافة بيني وبين المعمل ستة كيلومترات يلزم قطعها على الأقدام.

في تلك الليلة كانت تهبّ عاصفة ثلجية ابتدأت منذ ليلتين حتى بلغ ارتفاع الثلج على الأرض

سبعين سنتيمترا تقريبا. ولا يزال هشّا متخلخلا تخوص فيه الرجلان إلى الركبتين وفي كل خطوة يجب أن يقتلع الإنسان رجله بشيء من المشقة ليغسها مرة أخرى. وكان «الترمومتر» هابطا الى درجة 25 تحت الصفر والطريق موحش لا أنيس فيه غير الأشجار الواقفة في الظلام.

في نصف الطريق بين الجبال والمزارع سمعت ضجة غريبة. فأنصت. فإذا هي نغمات موقعة على دقات منظمة ذكرتني بالطبول والصنجات النحاسية التي يستعملها أبناء الطرق. بل هي واللّه نفسها. دقات منظمة كأحسن ما تسمع على تخت فيه الرق و«الدربوكة» و «النغرات». وكانت الأصوات تقترب وتزداد وضوحا. فحرت في تفسيرها لاسيما عندما اتضحت الأنغام وكأنها شرقية يعزفها فلاح مصري أو فلسطيني. وظهرت لي من بعيد مصابيح ضئيلة الضوء تتحرك في الهواء ففهمت أنها مرتفعة على عصي ورماح.

هل هو عرس لعمال من أهل الجزائر أو مراكش المقيمين في فرنسا ؟

هل هي حفلة سكارى أوعزت اليهم بنت الحان بالخروج والعربدة في هذه الساعة ؟

لكنّ الثلوج التي تقذف بها الريح على الوجه والأنف والأطراف المكشوفة والتي لا يقلّ ألمها عن ألم الكيّ بالنار لا تدع مجالا للمعربدين ولا للعباد ولا أصحاب الأعياد.

والآن بني وبين الموكب خمسون مترا.

ورأيت أن أتوارى خلف شجرة لأرى ما هناك في أمان. وإذا بكلب أسود في حجم الحمار الصغير أجده فجأة واقفا أمامي وفمه قريب من وجهي يتشمّم وينفخ وجاء بعده ثلاثة كلاب أخرى من حجمه أحاطت بي. شيء لا يطاق !

وما أسرع ما اقترب الموكب بأنواره ومنشديه.

وما هو ؟

هو قطيع من الأبقار والأغنام والماعز مساق إلى المجزر في ذاك الوقت وفي عنق كلّ بقرة أو خروف أو عنز ناقوس يناسب حجمها ومن اختلاف هزّات النواقيس وقوة أصواتها كانت تتألف تلك الطروبات اللذيذة التي ينشد عليها الرعيان أناشيدهم اجنائزية.

ضحكت من نفسي وقلت اللهم زدني علما.

وأخيـــرا :

قال أحمد شوقي عن بيرم التونسي : «إنني لا أخشى على مستقبل الشعر العربي الفصيح من أحد أو من شيء، ولكني أخشى عليه الآن من بيرم التونسي»، فقد تميّز الشاعر بمكانة عظيمة في الحياة الأدبية المصرية والعربية، ورسخ إسمه في الأذهان بفضل صدقه وتعبيره عن أحلام الناس وآمالهم فمزج بين الجدية والسخرية مبتعدا عن تقليد كلّ من سبقه.

المصادر والمراجع :

- مذكراتي والديوان الأول / محمود بيرم التونسي / منشورات المكتبة العصرية بيروت، صيدا، تقديم كمال سعد.

- محمود بيرم التونسي «مذكراتي» (المجموعة الكاملة) جمعها وقدم لها الدكتور فوزي الزمرلي - دار الجنوب للنشر - تونس

رؤى جديدة في الإبداع الأدبي

مصطفى بلمشري - الجزائر

ما زالت الرؤية الجمالية والثقافية تمثل موضوعا نظريا بالغ الأهمية للإبداع الأدبي العربي، ومع أن التراث الأدبي يوفر خلفية تاريخية تمتد آلاف السنين، مما يجعله مصدرا فكريا للدارسين والنقاد، إلا أن التحولات الكثيرة في البنية الاجتماعية والثقافية العربية المعاصرة، تستدعي تعمق النقاد في مفردات الواقع الجديد وانعكاساتها على الرؤية العربية والإنسانية، والآفاق المستقبلية لهده الرؤية الإبداعية.

ويفترض منطقيا وواقعيا، أن ينطلق الحديث عن الرؤى الجديدة في الإبداع الأدبي العربي من بعض المرتكزات الموضوعية التي نحتاج اليها في استخلاص بعض المؤشرات والاتجاهات الفنية والتقنية العامة.

ولا مراء في أن التحولات التي شهدها الإبداع الأدبي العربي في اتجاهاته وأنماطه وأسئلة متنه الفكري، هي بالأساس نتاج التحولات التي شهدتها مختلف أبنية المجتمعات العربية السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية. مما يؤكد جدلية العلاقة بين الواقعي في مختلف تشكلاته والإبداع الأدبي في مختلف أشكاله الجمالية وإشكالياته الفكرية.

ولا يفوتنا ضمن هذا السياق أن نلفت النظر إلى قضية الحداثة التي استغلت بعض القيم الفنية استغلالا أبداعيا جماليا حتى ترسم ملامح هذه الكتابات الأدبية المعاصرة، وقد أضحت الرؤى الجديدة التي سبق الإشارة اليها آنفا، إحدى العلامات والسمات الأساسية للإبداع الأدبي الذي دخل التناصر في سياقه وأصبح دالا على تعالق النصوص وتفاعلها من أجل تخصيب البنى الدلالية في النصوص لتعيدها خلقا جديدا، فتصبح مفتوحة على آفاق متعددة من التجريب والتأويل والاحتمالات.

من المعطيات الايجابية في الإبداع الأدبي المعاصر، وضع الأدب بكل أجناسه في منزلة مرموقة من البنية الثقافية والفكرية، وتبيان دوره كعامل مؤثر في مسيرة الإنسان والمجتمع نحو التقدم والإزدهار. وبما أن العالم المعاصر ينزع نحو المزيد من الانفتاح والتطور والتكامل. فرض على الأمة العربية بلورة اتجاهات ومقاربات من نوع جديد، في مجال الإبداع الأدبي، وبالتالي، استوجب على

هذا الأدب أن ينتقل من واقع التقوقع الجمالي والهامشية، إلى واقع الانفتاح على رؤى جديدة وعلى الأبعاد الإنسانية المصيرية.

وما دمنا نقف عند مشارف الألفية الثالثة، على عصر بادي الاتساع، واضح التعدد، ينم عن تطور ويشي بتحول كبير يعكس بمستويات عديدة من الحياة، وطرق التفكير وألوان التعبير، وليس ذلك إلا نتيجة لرغبة التغيير والتجديد التي أعد الأدباء سهم لها، وانسجاما مع الأهداف القائمة على بلورة المفاهيم الصحيحة في الإبداع الأدبي. ولقد كان الواقع كله، يسعى من أجل خلق وترسيخ قيم جديدة شكلا ومضمونا، وراح يسعى على الانعتاق من قيود التقليد والمفاهيم الجامدة والأساليب السطحية في التعبير والتفكير والتحليل وجد في البحث نفسه من خلال إعادة اكتشاف الواقع وتكوين علاقات ورؤى متطورة ومجددة ضمن الأعمال والأشكال الإبداعية المختلفة.

إن قيمة هذا الإبداع الأدبي، بقدر ما فيه من جديد برؤية قضايا المجتمع في العصر الراهن، وبارتباطه فنيا بهذه القضايا، فهو إذن إبداع تشرب رؤى سابقة.

ومن هذا المنطلق، فإن الكتابة الأدبية الجديدة، في عصرنا الراهن تحاول جاهدة تحقيق هويتها العربية وخصوصيتها الإسلامية بالإضافة إلى امتلاكها رؤى إبداعية معاصرة، بتفتحها على تيارات العصر ومواكبة تحولاته الفنية والفكرية، مع الحفاظ على الهوية الحضارية العربية، والقيم الروحية والفكرية للأمة، ومراعاة الخصوصيات الثقافية.

ومن الأهمية بمكان، أن نلفت الانتباه إلى أن واقع الحركة الأدبية العربية، باتجاهاتها الفنية وقيمها الجمالية مرتبطة بتطور حياتنا وبتفكيرنا، فهي تحاول أن تثبت وجودها على أسس مغايرة ومناقضة لما قامت عليه المدارس الأدبية القديمة والمستنفدة التي لا تزال سائدة بحكم التقليد والاستمرار.

وبعبارة أكثر تحديدا، إن الرؤى الجديدة جعلت النص الأدبي الجديد يتميز بانفتاحه الايجابي على خطابات النصوص الأخرى التي تكسبه القوة أبداعية تمنحه هوية متفردة وحياة مستقلة بعيدا عن الاجترار والتكرار، لأن التجربة الإبداعية المعاصرة ليست أسيرة الجمود، بل هي تجربة حية متجددة، تتعامل مع المتغيرات الفنية والتقنية والثقافية بشكل إبداعي خلاق، فهي غنية بالرؤى الجمالية التي تقدم للملتقى بناءآ فكريا جديدا تجاه واقع جديد. وما دامت حركة الأدب هي في جوهرها وحقيقتها الواقعية صراع جدلي بين القوى المتناقضة، قوى التقدم والتطور والنمو، من جهة، وقوى الجمود والتخلف والتقليد من

جهة أخرى. وإن كل خلفية فكرية في العمل الأدبي مرتبطة حتما بالسلب أو الايجاب بحركة هذا الصراع الأدبي الدائم. فعلى وضوح الرؤيا الصراعية في هلفية العمل الأدبي، رعلى ارتباط هذه الرؤيا بمجرى الصراع، وايجابياته تتحدد قيمة العمل الأدبي من هذه الوجهة.

ولمزيد من التوضيح، إن الكتابة الأدبية الجديدة، تشتغل بين الواقع وإعادة صياغة الواقع، وبين الكاتب والقارىء ومن الرؤية إلى الرؤيا، ومن العادي، إلى ما هو الترميزي، وهذه عملية إبداعية تقوم أساسا على التقاط التفاصيل التقاطا ذكيا يكون له خاص وبناء فني متميز، كما أن حضور الواقع بكل تجلياته في النص الأدبي الجديد، يتحقق مشعا بارقا مكثف الدلالات والأبعاد والإشارات القابلة للتأويل والترميز، فتعمل على توسيع النص ليصبح فضاء للوقائع وفضاءا للإبداع وما يلفت الانتباه في التجارب الإبداعية العربية، إنها تستند لأربع مدارس فنية، فبالرغم من تشبثها بالتيار الرمزي الذي ينسجم لرؤى الجديد، إلا أنها تلوذ بالسريالية حينا، وتتكىء على التعبيرية التجديدية حينا آخر، وأكثر من ذلك فهي تستثمر تمظهرات الشحن الإبداعي، دون اللجوء إلى المحاكاة الصماء أو التقليد الأعمى للنماذج الأخرى.

ومن الطبيعي إذا وجود هذا التطلع لإبداع أدب جديد مشحون برؤى إبداعية جديدة تواصلية وتوالدية، وتفاعلية، لجعل هذا الأدب يعبر بصدق عن روح عصرنا، طالما أن الحضارة المعاصرة لم تتوفر حتى الآن على طريقة فنية مثلى ومكتملة.

وعليه، فإن هذا التوجه هو وحده القادر على ترجيح كفة الحداثة، وربح رهان تحقيق التنمية الثقافية والنهضة الأدبية المأمولة على أرض الواقع، لتكون صمام أمن من الإرهاب الفكري، والغزو الثقافي والاستلاب الحضاري بمختلف توجهاته وممارسته، وتكون - في الوقت نفسه - ذراعا صلبة لحماية الأدب العربي.

ولمزيد من التوضيح، نقول أن جمالية الإبداع الأدبي تتجسد في خروج الذات من وجود سديمي مغلق إلى رحاب العالم الشاسع والموضوعي حولها، وهذا يعني خروج الكاتب المبدع من دائرة ذاتية إلى أرحب المشكلات العامة، كان سببا في تقدمه فنيا، ولهذا تبقى المعاناة الإبداعية هي مادة الأدب الخام في النفس، تؤدي إلى إتساع رؤى الكاتب وبالتالي تتسع الرؤية التي تشتمل على الوعي الاجتماعي والسياسي والجمالي، لأن هذه العناصر جميعها تتفاعل مع التكوين الذاتي للأديب مع ظروفه التقنية وثقافته الفنية

وبيئته الحضارية.

ولعل من أبرز مميزات الكتابة الأدبية الجديدة إصغاؤها إلى نبضات التراث الأدبي والثقافي وتيقظها لمشاغل الحاضر واستشرافها لآفاق المستقبل في جهد لا يفصل الإبداع عن ماضيه ولا يقطعه عن جذوره، ولا ينأى بها عن موقعه في التعامل مع الثقافة الكونية تعاملا حيًا خلاّقا يؤمن بالأخذ والعطاء وتلك أبرز سمات الإبداع الخالد.

الخاتمة :

إن ما عرضناه سابقا، بين توجه المثاقفة الفكرية والفنية لتعميق الحقل المعرفي في العملية الإبداعية، وتقريب رؤيا النهوض الأدبية الإبداعية المعاصرة، التي أصبحت مكثفة إلى أقصى حدود التكثيف وثرية بالدلالات المتنوعة، بحيث استثمرها الأديب استثمارا جريئا لخلق آفاق إبداعية ورؤى إبداعية ورؤى جديدة قادرة على استيعاب مستجدات الحياة الراهنة ومتناقضاتها.

وعلاوة على ذلك، لقد عملت الرؤى الجديدة على تفجير اللغة وتحميل الكلمة دلالات جديدة، لترسم فضاءات لعوالم مشحونة وغريبة، لكن منسجمة مع مرجعيات النصوص، لتفتح بذلك أفقا متحولا ومتغيرا، ولتبدع أشكالا جديدة من التواصل بين ذات الكاتب والمتلقي لفيض معانيها، فيغدو الإبداع الأدبي تجربة شخصية رؤيوية عميقة تنطلق من معاناة الذات الفاعلة المبدعة لتصب في التجارب الإنسانية بعامة.

وهذه باختصار، بعض الرؤى الإبداعية، وبعض المفاتيح الأول لقراءة المنجز الأدبي العربي المعاصر قراءة نقدية جمالية وفنية والتي ساهمت في صياغة العملية الإبداعية من رؤية معرفية مشتركة، ولتصبح مهمة الناقد اسكناه هذه الرؤى واستكشاف حدودها وتأويلها والحد الخفي الممثل في بنيتها العميقة، بغية استكناه المعنى العميق للإبداع الأدبي.

قصيدة النثر كتابة إبداعية

بقلم : حاتم النقاطي

إنّ قصيدة النثر أو «الكتابة الإبداعية» هي كتابة أضحت اليوم حقيقة لا يمكن أن ينكرها النقاد بحكم أنها أضحت ضمن فضائنا الإبداعي العربي كتابة مسيطرة على الساحة الشعرية أو الإبداعية وإن هذا الحضور لهذه التجربة الجديدة في الكتابة افترض «عقلية نقدية» وجب أن تعيد وعيها بهذا التعامل مع مبدعي هذه الكتابات لأمرين أساسيين :

أولهما : أن قصيدة النثر أو «الكتابة الإبداعية» - كما أسميها - تفترض أن تفهم ضمن فضاء ثقافي «إنساني» وجب أن ننتبه اليه بل أن نفهمه اليوم أكثر من ذي قبل بحكم تنامي فكرة المركز في سعيها لاذابة الأطراف.

وثانيا : إنّ قصيدة النثر أو الكتابة الإبداعية، هي كتابة تنخرط في انفتاح أساسي على أجناس الكتابة فإذا هي كتابة الإبداع تي توقها لشاعرية الحياة بوصفها «الشاعرية» الحقيقية التي يطرح المبدع داخلها أسئلته خارج كل «تحنيط» للفعل الشعري وللإنسان.

إنّ قصيدة النثر أو قصيدة التجريب أو قصيدة الأسئلة أو «الكتابة الشعرية نثرا» كما يسميها - أدونيس - هي كتابة «إبداعية» وكفى. إنّ هذه الكتابة تلتمس «إبداعيتها» من سعيها المتواصل لتطوير شكل كتابتها وتنويع إيقاعها الداخلي فإذا هي تختلف في مستوى إيقاعيتها الداخلية من شاعر إلى آخر ومن لغة إلى أخرى، وأنّ هذا التعريف يفترض مدئيا أن نحدد هويّة هذه الكتابة ومرجعيتها الأساسية زمانيا ومكانيا :

إننا نعني بهذه الكتابة «الإبداعية» - قصيدة النثر - التي ظهرت في الذائقة العربية مع جملة من الكتّاب والأكاديميين كأدونيس وجبرا ابراهيم جبرا وأنسي الحاج وغيرهم... هذه الكتابة التي ظهرت في المشرق العربي في المنتصف الأخير من القرن المنصرم وتأجّج حضورها في العشريتين الأخيرتين حتى اصبحت لغة «الشعر المعاصر» هي نتاج لحركة نشيطة للترجمة عن اللغات الأجنبية الفرنسية والانقليزية واليابانية.

وهو ما يطرح السؤال التالي : هل قصيدة النثر أو «الكتابة الإبداعية» التي نجدها اليوم وينخرط فيها شعراء الأمة العربية - شرقا وغربا - هي كتابة نجد لها أصولا داخل نثرنا العربي وتاريخنا الأدبي عامة، أم أنّ هذه «الكتابة الإبداعية» هي نتاج ضروري لتطور (حضارة المركز) وقدرتها على ابتلاع «الآخر»

لعجزه عن تطوير ثقافته ووقائعه ؟

لقد جاءت «الكتابة الإبداعية» ـ قصيدة النثر ـ نتاجا مباشرا لذلك الانفتاح على «الآخر» فتأثرت الذائقة العربية الإبداعية بكتابات «ازرا باوند» وقصائد الهايكو اليابانية أساسا.

وهذا الاعجاب تأتّى من قدرة هذه القصائد على التجذر في المعيش ومواكبة إيقاعيتها الداخلية وجماليتها ورموزها لنسقية الحياة التي بدأت ترتفع ضمن ثقافة تلك المجتمعات ووقائعها تصاعديا. ويمكن أن نفهم هذا الميل لمغادرة السائد في «الذهنية العربية» من خلال انفتاح الكتاب والأكاديميين والمثقفين العرب على الأطروحات الجديدة لفهم نسقية واقع جديد ولذلك فإنّ «قصيدة النثر» أو «الكتابة الإبداعية» لا يمكن أن تفهم إلا ضمن هذا الفضاء «الثقافي» العالمي الجديد الذي بدأ يبشر «بالعالم القرية».

فلماذا نبحث ـ عندئذ ـ عن علاقة بين هذه «الكتابة الجديدة» والموروث الثقافي ضمن حضارتنا العربية؟ ولماذا هذا الإلحاح من قبل العديد من الشعراء والنقاد والمثقفين على استثناء «قصيدة النثر» أو «الكتابة الإبداعية» من دائرة الشعر العربي؟

إنّ هذا الأمر يخفي جملة من الأسباب التي عبثت بالثقافة وبالمثقفين العرب ومن بينها :

أولا : عقلية ردّ كل الاجابات الثقافية إلى مشكلة «التراث والحداثة» أي محاولة البحث عن اجابة الثقافة العربية ضمن هذين الحدين : ويمكن أن نستشهد بالسؤال التالي : ما علاقة «قصيدة النثر» بـ «الموروث الأدبي العربي» ؟

لعلّ الاجابة تكمن في أنّ هذه الكتابة تطوير للقصيدة العربية. أو هي تطوير لنصوص نثرية داخل تراثنا كتجارب ـ النّفري ـ أو ـ محي الدين بن عربي ـ وغيرهما من الاجابات التي تبحث عن تأصيل نظري لهذا الجنس من الكتابة ضمن ثنائية كانت ولا تزال تحت ثقافتنا العربية ككلّ.

وأنّ هذه الثنائية هي التي أصبحت اليوم تسمى بـ «الهوية» و «العولمة» وهو ما يخفي أساسا عدم فهم الواقع العالمي الجديد الذي يرفض كلّ «خصوصية» ويبحث أبدا عن تجاوز «المركز» وتحطيم التاريخ وتأسيس الجغرافيا بوصفها بديلا.

ثانيا : إصرار العديد من الشعراء والمثقفين والنقاد العرب على اخراج «قصيدة النثر» أو «الكتابة الإبداعية» من دائرة الشعر يخفي أمرا أساسيا وهو تأكيدهم «الواعي واللاواعي» فصل الشعر عن باقي أجناس الكتابة والحال أنّ جميع الأجناس الأدبية أصبحت اليوم أكثر من ذي قبل متفتحة بعضها على بعض ويمكن أن نفهم هذا الأمر انطلاقا من واقع ثقافي عربي وعالمي جرّ الشعراء وقراء الشعر إلى حضيرة الرواية ولذلك فإن قصيدة النثر أو «الكتابة الإبداعية» هي كتابة تنخرط في فضاء إبداعي جديد يرفض كل تصنيف للأجناس الأدبية بغيته تحنيط هذه الأجناس وسدّ منافذ

انفتاحها بعضها على البعض.

ثالثا : إنّ الشاعرية ليست في ايقاعات القصيدة العمودية ولا في ايقاعات «قصيدة التفعيلة» ولا في الإيقاع الداخلي «لقصيدة النثر» بل الشاعرية تكمن في قدرة هذه الكتابة أو تلك على الانخراط في المعيش وفي الحياة. ولعل قصيدة النثر أوْ «الكتابة الإبداعية» قد استطاعت أن تعبّر عن هذه الحياة ومعيشها وحريتها لما تحمله داخل «مشروعها» من استفادة واضحة من «العالمية» وانفتاحها على التجارب الإنسانية في عمق ما يحملها إنسانها الجديد بوصفه إنسانا يرفض المركز ويرفض الانغلاق وتحنيط تجربته ضمن ثنائيات لا تخدم شاعريته الباطنية في تفاعلها مع نسقية جديدة تجعل منه كائن الأسئلة الدائمة يطرحها على ذات تقاوم «ثقافة العولمة» لا في تقوقعه ضمن «الهوية» في معناها «العرقي أو الديني أو الثقافي» بل في معناها الإنساني.

إنّها «هوية» الدفاع عن الإنسان ضد استنزاف قيمه الإنسانية في معناها الشمولي.

وبهذا المعنى تكون «قصيدة النثر» أو «الكتابة الإبداعية» محاولة للانخراط في النص الإبداعي خارج كل وهم وكل تحنيط. إنّها كتابة تؤسس الإنسان وتعانق الإنسان خارج كل «إنتماء» إذ هي الشاعرية الحقيقية شاعرية الحياة في مقاومتها لأعداء الحياة.

محطات ثقافية

متابعات ثقافية

بقلم : أبو خولة

جائزة ناجي نعمان الأدبية

فاز الشاعران التونسيان المنذر العيادي ومحمد بوحوش بجائزتين من جوائز ناجي نعمان الأدبية لسنة 2007. فجائزة المنذر العيادي هي إحدى جوائز الاستحقاق عن قصيدة له أهداها الى روح أمه. أما محمد بوحوش فقد نال الجائزة الثانية في اطار الجوائز الإبداعية.

ولجائزة ناجي نعمان الأدبية فروع عديدة حيث بلغ عدد الفائزين في دورتها الخامسة 74 فائزا وقد ترشح لهذه الجائزة 612 مترشحا من 41 دولة حيث كتبوا في عديد اللغات : (عربية - فرنسية - انجليزية - ايرانية - اسبانية...)

اتحاد كتّاب الانترنيت

أطلق اتحاد كتّاب الانترنيت برنامجه الخاص والأول في الثقافة العربية حيث ركّز على انتاج نصوص إبداعية وخلق تيار إبداعي رقمي في الأدب العربي.

ويهدف البرنامج الى تعميق مفهوم الثقافة الرقمية وتشجيع الكتّاب على الدخول في الكتابة الرقمية بمعناها الايجابي ودعم كتّاب الإتحاد ونشر إنتاجهم شعرا ونثرا.

وقد شكل اتحاد كتّاب الانترنيت لجنة مختصة من كبار النقاد لاختيار النصوص التي سيتم نشرها في موقع الاتحاد وسيقع فيما بعد إنتاج أقراص مدمجة تضمّ الأعمال المنتجة ونشرها في كافة أرجاء الوطن العربي والعالم.

هذا وقد صدرت عدة شروط للنشر والانتماء منها توفّر الحدّ الأدنى من الشرط الابداعي في كل جنس أدبي. ويعتبر يوم غرة أوت 2007 آخر أجل لقبول النصوص الابداعية التي سيتم نشرها في موقع الاتحاد.

الشاعر نزار شقرون والدكتوراه

تحصّل خلال النصف الاول من شهر ماي، الشاعر نزار شقرون على شهادة الدكتوراه في علوم

وتقنيات الفنون (اختصاص نظريات الفن) بملاحظة مشرّف جداً مع تهاني اللجنة.
مناقشة الأطروحة تمت بالمعهد العالي للفنون الجميلة بتونس وتشكلت من الأساتذة توفيق الشريف (رئيسا) - الحبيب بيدة وسامي بن عامر (مقررين) - خالد الأصرم (عضوا). أما الأستاذ المشرف والمؤطر فهو سمير التريكي.
موضوع الأطروحة هو [المصطلحات وآلياتها الفكرية في الكتابات النظرية للفنان العراقي شاكر حسن آل سعيد]. وقد اعتبرت أطروحة نزار شقرون متميزة بأسلوبها واضافاتها ومرجعيتها في مجال الفنون التشكيلية العربية.

مؤتمر حول الموريسكيين

نظمت مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات المؤتمر الثالث عشر للدراسات الموريسكية وكان موضوع هذه الدورة حول التأثيرات الشرقية في الأدب الألخميادي الموريسكي : الابعاد العقائدية والسياسية وكذلك حول محاكم التفتيش تجاه الموريسكيين الاندلسيين في القرنين 16 و17 باسبانيا وأمريكا اللاتينية.. المؤتمر التأم من 16 إلى 18 ماي 2007 بالعاصمة وهو تأكيد لدور مؤسسة التميمي في المحافظة على الذاكرة الجماعية للموريسكيين.

ندوات علمية حول التراث المعماري

في اطار شهر التراث - الدورة 16 - انتظمت في جهة سوسة عدة ندوات فكرية تناولت قضايا التراث المعماري التقليدي. ففي مدينة أكودة انتظمت ندوة [أكودة عبر العصور] . ومن أبرز المداخلات في هذه الندوة :

- احمد الباهي / رموز العمارة الاسلامية.
- عمر عبد الباري / التراث المعماري الاسلامي.
- الصادق عمار / المدينة في الشعر العربي.

وفي القلعة الكبرى انتظمت ندوة [العمارة التونسية التقليدية : دلالة الأشكال ومرجعياتها وتوظيفها في الحياة العصرية] ثم انتظمت في نفس المدينة ندوة ثانية بعنوان [حفريات في ذاكرة المدينة] ومن أبرز المداخلات في هذه الندوة :

- أحمد الجدي / ذكر القلعة الكبرى في كتاب الاتحاف لابن أبي الضياف
- محمد الحبيب العزيزي / سجل العلماء والأجداد على ذمة الأبناء والأحفاد.

أما في القلعة الصغرى فقد انتظمت ندوة بعنوان [الثابت والمتحول في البنية المعمارية التقليدية

: الفن المعماري والتراث بالقلعة الصغرى نموذجا] ومن أبرز المداخلات في هذه الندوة :

- منيرة الرزقي / مقارنة سوسيولوجية للمعمار التونسي بين الامس واليوم

- آمنة غيث / الفن المعماري والتراث : القلعة الصغرى نموذجا

وفي هرقلة انتظمت ندوة : [هرقلة عبر التاريخ] تحت عنوان الفن المعماري التقليدي بجهة الساحل : الخصوصية والتميّز ومن أهم المداخلات فيها :

- رياض المرابط / جمالية المعمار التقليدي

- أحمد الباهي / اشكالية نشأة هرقلة

- عفاف الهلالي / خصائص العمارة الدينية بهرقلة

- رياض الحمروني / تحديد موقع ميناء هرقلة في الفترة الرومانية.

الدكتوراه لمدير الاذاعة الثقافية

أحرز الصديق الأستاذ أحمد الحذيري مدير الاذاعة الثقافية شهادة الدكتوراه من كلية الاداب بمنوبة مؤخرا. وقد تألفت اللجنة من الأساتذة : عبد المجيد البدوي (رئيسا) - توفيق بن عامر (مشرفا) - عبد الرزاق الحمامي - كمال عمران - مصطفى التواتي (أعضاء).

أما الاطروحة فقد كان موضوعها [المسيحيون المصريون في القرن العشرين من 1908 الى 1990]. وبعد مناقشة اللجنة لهذا العمل منحت لسي أحمد الدكتوراه بملاحظة مشرف جدا. فأحرّ التهاني ونرجو أن نرى العمل مطبوعا في كتاب.

نادي «دار المربي» في ذكراه الخامسة والأربعين

يدير باقتدار المربي الفاضل التهامي دخلية هذا النادي الهادف إلى تمكين رجال التربية والتعليم من اللقاء وتبادل الرأي اضافة الى ربط الصلة بينهم وبين نظرائهم خارج أرض الوطن.

ومن بين أنشطة هذا النادي تنظيم الندوات والمحاضرات والملتقيات وتكريم المشتغلين في حقل التربية والتعليم (رجال ونساء) اضافة الى تنظيم رحلات وتقديم دروس دعم مجانية وعديد البرامج الأخرى.

هذا النادي ومقرّه قبالة معهد باب الخضراء بتونس العاصمة، احتفل بمرور 45 عاما على تأسيسه (1962 / 2007) وقد تداول على ادارته السادة عبد العزيز الجربي - الشيخ محمد الشاذلي النيفر - محمد الحبيب زغندة وصولا الى مديره الحالي الأستاذ محمد التهامي دخلية.

حفل توقيع كتاب خالد الغريبي

احتضن المركب الثقافي محمد الجموسي في صفاقس يوم السبت 19 ماي 2007 حفل توقيع خالد الغريبي لكتابه حول قضايا النص الشعري العربي الحديث : مقاربات نظرية وتحليلية من شعر البياتي وأدونيس والسيّاب وصلاح عبد الصبور ومحمود درويش... وقد تولّى الشاعر نور الدين بوجلبان تقديم الكاتب والكتاب قبل بدء حفل التوقيع.

الملتقى الوطني للأدباء الشبان (دورة 17)

في سيدي علوان بالمهدية تلتئم يومي 14 و15 جويلية 2007 الدورة 17 للملتقى الوطني للأدباء الشبان تحت شعار : بلاغة الواقع وأفق القصيدة. وقد تمّ تحديد مجالات المشاركة وهي : المقال النقدي ـ القصة القصيرة ـ ثم الشعر اضافة إلى تخصيص جوائز مالية للنصوص الفائزة في كل مجال، على أن ترسل النصوص إلى دار الثقافة بسيدي علوان قبل نهاية شهر جوان.

ندوة حول السرد في تونس وليبيا

شهدت مدينة طرابلس خلال الاسبوع الثالث من شهر ماي 2007 ندوة حول تطور السرد القصصي والروائي في ليبيا وتونس. الندوة نظمها مركز الثقافة العام بالجماهيرية بالتعاون مع المركز الثقافي التونسي الليبي بطرابلس. أما المشاركون من تونس فهم محمد القاضي وخالد الغريبي وصلاح الدين بوجاه وعادل خضر ومحمد الباردي ومحمد البدوي ومحمود طرشونة ومحمد الغزي وكمال الرياحي وحاتم الفطناسي والحبيب السالمي.

أما المشاركون في الندوة من ليبيا فهم : أحمد عمران ورمضان سليم وعمر خليفة ومحمد الطرهوني وفوزية شلاّبي. كما شارك أيضا فريدة النقاش ومحمد الزيات من مصر وشعيب الخليفي من المغرب وعفاف بطانية من الاردن وواسيني الأعرج من الجزائر.

وقم تم افتتاح هذه الندوة من قبل الدكتور سليمان العويل مدير مجلس الثقافة الليبي والأستاذ أحمد السالمي مدير المركز الثقافي التونسي في ليبيا. وكذلك سفير تونس في الجماهيرية الأستاذ محمد الحبيب براهم وعديد الشخصيات من السلك الديبلوماسي.

فكرة هذه الندوة تمثلت في تبادل مواقع الدرس والنقد حيث قام جامعيون ونقاد وأدباء من تونس بدراسة قصص وروايات من انتاج وابداع الأشقاء في ليبيا كذلك قام الأساتذة والنقاد في ليبيا بدراسة ونقد مجموعة من النصوص الابداعية في القصة والرواية لكتّاب تونسيين. المهم

هو أن كل المداخلات من المنتظر صدورها قريبا في كتاب يفيد الدارس ويدعم المكتبة العربية.

ملتقى الشاذلي بويحيى في جندوبة

التأمت الدورة الثالثة لهذا الملتقى تحت عنوان «التراث السردي في الرواية العربية المعاصرة» ومن بين المداخلات العلمية التي استمع اليها الحاضرون :

- د. أحمد السماوي / الرواية والتراث الموريسكي من خلال تغريبة أحمد الحجري.
- محمد بالطيب / توظيف التراث في الرواية العربية التونسية.
- د. محمد القاضي / صورة التراث في الرواية التونسية.
- محمد الخبو / تسريد التراث في الرواية العربية المعاصرة.

وقد تخلل الملتقى فقرات أخرى تضمنت قراءة الشعر وتسليم الجوائز للفائزين في مسابقة القصة القصيرة.

ملتقى الشاعر محمد زيد (1916 / 2000)

نظمت مدينة الجم ملتقى الشاعر محمد زيد أيام 25 و26 و27 ماي 2007 وهو ملتقى ينتظم مرة كل سنتين. ومن بين المداخلات خلال هذا المتقى :

- محمود بن حسين / محمد زيد كما عرفته
- د. عبد العزيز شبيل / الذات والوجدان في شعر محمد زيد
- د. كمال عمران / قيمة الأدب والحضارة في مرثيات محمد زيد
- حميدة الصولي / محمد زيد شاعرا وناثرا.

هذه المداخلات من المنتظر صدورها تباعا في مجلة المنتدى التي تصدرها المندوبية الجهوية للثقافة بالمهدية.

فتح باب الترشح لجائزة الشيخ زايد للكتاب 2008

اعلنت جائزة الشيخ زايد للكتاب عن فتح باب الترشح لنسختها الثانية لسنة 2008 بعد النجاح الكبير الذي حققته الدورة الأولى رغم قصر مدة التحضير.

وقال راشد صالح العريمي أمين عام الجائزة ان موقع الجائزة يوفر لجميع المبدعين والمفكرين والاعلاميين كل المعلومات المتعلقة بالجائزة ويمكّنهم بالتالي من التواصل مع شتى فروع الجائزة والاشتراك فيها وذلك من خلال الخدمات المتميزة التي يحويها سيما انه من المنتظر ان يشهد الموقع تطورا يواكب قيمة الجائزة والاسم الذي تحمله.

وتصل القيمة المادية للجائزة الى سبعة ملايين درهم (مليوني دولار امريكي تقريبا)، حيث يمنح

الفائز في كل فرع جائزة مالية قدرها 750 الف درهم وميدالية ذهبية تحمل شعار الجائزة المعتمد، اضافة لشهادة تقدير للعمل الفائز، في حين تبلغ قيمة الجائزة شخصية العام الثقافية وحدها مليون درهم.

وأما فروع الجائزة فهي على التوالي : العلوم الاجتماعية والاداب والفنون وأدب الطفل والترجمة والابداع الشبابي وتكنولوجيا المعلومات والنشر والتوزيع وشخصية العام الثقافية.

يذكر ان آلية الاشتراك تعتمد على الحصول على طلب استمارة الترشح الخاصة باحد فروع الجائزة والموجودة في الموقع وتعبئتها وارسالها لمكتب الامانة العامة للجائزة مرفقة بالسيرة الذاتية للمترشح مع صورة من جواز السفر وصورة فوتوغرافية شخصية اضافة الى نسخ من العمل المقدم.

فتحي القاسمي والجدل الديني

نحصل هذه الأيام على شهادة دكتوراه الدولة هو الأستاذ والشاعر والباحث ابن برج العامري فتحي القاسمي، عنوان الأطروحة هو [الجدل الديني في تونس]. وقد ناقشت العمل لجنة علمية ترأسها الدكتور كمال عمران حيث اعجبت بالعمل وأثنت على جهد الباحث واسندت اليه في النهاية شهادة الدكتوره بملاحظة مشرف جداً. فأحرّ التهاني إلى صديقنا فتحي القاسمي أستاذ الحضارة بالمعهد العالي للغات بتونس.

الشيخ محمد عيسى الجابر بيننا

وسط حضور متميّز لكثير من المهتمين والفاعلين في الشأن الثقافي والاعلامي أقيم احتفال في دار الثقافة ابن رشيق بتونس في بداية شهر جوان 2007 بمناسبة صدور العدد المائة من [كتاب في جريدة] الذي تتولى نشره جريدة العرب العالمية وكان من بين الحضور الشيخ محمد بن عيسى الجابر الذي يعتبر راعيا لهذا المشروع الذي يشرف عليه الشاعر العراقي شوقي عبد الأمير ومديره التنفيذي السيدة دوغان.

الدكتور منجي بوسنينة المدير العام لمنظمة الألكسو منح الشيخ محمد بن عيسى الجابر الميدالية الذهبية الممتازة للمنظمة تقديرا لجهوده في خدمة الثقافة العربية.

مهرجان الشعر العالمي

شارك الشاعر ساركون بولص (العراق) والشاعرة فاطمة ناعوت (مصر) في الدورة 38 لمهرجان الشعر العالمي 2007 بروتردام وذلك خلال الأسبوع الثالث من شهر جوان.

موضوع هذه الدورة هو العلاقة ما بين الجنون والشعر أو الخيط الفاصل بين الاختلال العقلي (الجنون) وبين الابداع وقد قدم الشعراء المشاركون من مختلف أنحاء العالم قصائدهم بلغتهم الأصلية التي تمت ترجمتها الى الهولندية والانقليزية.

أربعينية الحبيب شيبوب

أقيمت أربعينية الأديب، ذاكرة تونس الأدبية، الحبيب شيبوب في دار الثقاف ابن رشيق... الحضور لم يكن مكثفا بسبب تزامن تظاهرات أخرى في الدار وقلّة الدعاية ممّا حرم الكثيرين من الحضور والترحم على الفقيد والمشاركة في الأربعينية...

نازك الملائكة.. وداعا

رحلت إلى الأبد الشاعرة العراقية نازك الملائكة وهي التي اقترن اسمها بتجربة الشعر الحرّ... توفيت ودفنت في القاهرة (مصر) بعد 84 عاما عرفت خلالها المجد والشهرة والمرض والألم خصوصا في أخريات حياتها حيث عانت من فقدان الذاكرة والمرض والشيخوخة والحياة بعيدا عن أرض دجلة والفرات.

نشرية إلكترونية للاتحاد

أحدث اتحاد الكتاب التونسيين نشرية إلكترونية نصف شهرية يترأس تحريرها الشاعر الطبيب المولدي فروّج وهي نشرية تعنى بالأخبار الثقافية وتنشر النصوص الشعرية والقصصية والحوارات الأدبية والدراسات النقدية لأعضاء الاتحاد ولكل الأدباء والمبدعين العرب.

وللإطلاع على محتوياتها أو مراسلتها يمكن زيارة المواقع التالية الخاصة بها :

- http ://uet.c.la
- http ://uet.c.cx
- ecrivainstunisiens@maktoob.com

كتب جديدة

عرض : الحبيب بن فضيلة

ميس الريم (شعر)

بعد أن كان قد أصدر سنة 1998 (نزار قباني رحيل عملاق) ثم سنة 2004 (مشاكسات) في جزئين أصدر مؤخرا الشاعر والصحفي ساسي جبيل مجموعة شعرية بعنوان (ميس الريم) ضمّنها 16 قصيدة نذكر منها : اصرار - شوق - غزل - المدينة - الحكمة - طراطير - نشيد الحمام - ميس الريم - القندول (قرية الشاعر). مسح الكتاب 63 صفحة من الحجم المتوسط وقد كتب الدكتور محمد صالح بن عمر تقديما لهذه المجموعة جاء فيه : «قصائد هذه المجموعة المتراوحة بين القصر الشديد والطول المفرط تشترك جميعها في كونها أغاني حيرى متوترة، متقطعة، صادرة عن نفس مكلومة مأزومة لذلك هي أشبه ما تكون بأنّات جريح يتجرع من كؤوس الوجع ما يفوق طاقته...)

لمسات متوحشة (قصص)

ممنوع التصوير - وجوه في المدينة - أمواج الغضب - ثمار الجسد - خفايا الزمان - تقلبات الأيام.

بعد هذه المجموعات القصصية الستّ أصدر بوراوي عجينة المجموعة السابعة بعنوان لمسات متوحشة في 165 صفحة من الحجم المتوسط وذلك خلال شهر جانفي 2007 عن منشورات سعيدان بسوسة وقد تضمنت هذه المجموعة الجديدة 27 قصة قصيرة نذكر منها : الحسناء والمسبح - ثمن الأناقة - عربة تجرّ حصانا - أبواب وأقفال - حليب الغولة - حدّ السكين على العنق - الطائرات تقصف بيتي - البستان.

ما يميّز قصص بوراوي عجينة هي طرافة تناوله للمواضيع المعالجة ولغته القريبة من الشعر وسحره في أسر القارىء ليتم قراءة ما شرع في قراءته.

ما لم يقله القصيد... (شعر)

أصدرت فاطمة بن محمود كتيّبا شعريا مسح 76 صفحة تميزت بصغر حجمها وبقصر النصوص الشعرية التي احتضنتها. ولكنها رغم قصرها فهي قصائد مختزلة لمعاني كثيرة ولصور لا يهتدي اليها الاّ من كان شاعرا متمرّسا بكتابة النصّ الشعري.

وقد قسمت فاطمة بن محمود نصوصها إلى أربعة عناوين داخلية كبرى هي : على مقربة من الحبّ - في باحة الرّوح - حذو المشهد - الحديقة السريّة.

هذه المجموعة الشعرية هي الثانية في رصيد فاطمة بعد ان كانت قد اصدرت سنة 1998 مجموعتها البكر بعنوان (رغبة أخرى لاتعنيني).

الأميرة الزرقاء (قصص)

عن دار سحرللنشر بتونس صدرت سنة 2006 هذه المجموعة القصصية (الأميرة الزرقاء) لحسونة المصباحي وقد مسحت من الصفحات 146 صفحة ضمنها 14 قصة. ومن عناوين هذه القصص : كبوة الجواد الأخيرة - شحبوط - الهدية - الجلاّد - الذئب - الراعي - حكايات سائق التاكسي - الأميرة الزرقاء - لقطات من أزمنة متباعدة...

أغلب هذه القصص كتبها صاحبها ايام اقامته في المانيا.. وهي قصص تتميّز بأسلوب المصباحي الذي يشدّ اليه القارىء حتى يتمّ قراءة النصّ اذا ما شرع فيه... عيب هذا الكتاب أنه طبع بحروف صغيرة تكاد لا ترى إلاّ بالمجهر! إضافة إلى أنه لا يحمل فهرسا ولا يحمل الترقيم الدولي ISBN؟

انعتاق (شعر)

بعد أشواق الخيل - ماذا لو يبوح النخل - حديث البلاد - أصدر الشاعر سالم المساهلي مجموعته الشعرية الرابعة بعنوان انعتاق في 140 صفحة وقد قسّمت المجموعة الشعرية الى قسمين بارزين : جموح / قروح وتحت كل قسم ادرج الشاعر مجموعة من قصائده (11 بالنسبة لجموح و8 بالنسبة لقروح) التي جاء بعضها عموديا والبعض الآخر حراً.

يقول : الناس توغل في الغياب / وتذوب في الطرق البعيدة / كالسراب / والبحر في صمته / تلفه السحب الثقيلة / والضباب.

ألسنة السرد (نقد)

عن الدار العربية للكتاب صدر للدكتور محمود طرشونة (ماي 2007) كتاب بعنوان [ألسنة السرد] ضمّنه أبوابا أربعة هي : ألسنة الرواية العربية - ألسنة الرواية التونسية - ألسنة السرد في أدب المسعدي - ألسنة القصة القصيرة. وقد تضمن كل باب مجموعة من الفصول من ذلك مثلا : توظيف السدّ في السينما - رمزية الحيوان في نسور وضفادع - مدخل لدراسة قصص صالح القرمادي...

الكتب مسح 123 صفحة من الحجم المتوسط وقد صدّره صاحبه بتمهيد أبرز ما جاء فيه قوله : كيف يمكن أن تكون للنص ألسنة وهو الصامت على الدوام القابع على القرطاس دون حراك الموارى بين دفّتي كتاب على رفوف لا يمسها إلا من ابتلى بمحنة القراءة والكتابة، يجد فيها متعة الى حين ويبحث فيها عن المقاصد والمواجد وعن الصور والفكر وأشياء أخر»... ألسنة السرد كتاب نقدي آخر لمحمود طرشونة جدير بالقراءة لما يتميّز به صاحبه من قدرة على المسك بادوات النقد الجيّد والهادف والذي لا يقل متعة عن النصّ المنقود.

الجمهورية التونسية
وزارة العدل وحقوق الانسان
المحكمة العقارية

بــــــــلاغ

عملا بالفصل عدد 6 من المرسوم 3/64 المؤرخ في 20 فيفري 1964 ليكن في علم العموم ان القائمات العامة للعقارات التابعة للمنطقة حرف K من عمادة برج المسعودي الغربية من ولاية سليانة وان والواقع مسحها تنفيذا لأحكام المرسوم المشار اليه اعلاه وضعت بمركز الكريب ومحكمة ناحية الكريب
وعلى من يهمه الأمر الاطلاع على تلك القائمات والقيام اذا اقتضى الحال بالاعتراض لدى المحكمة المذكورة في أجل شهر من تاريخ صدور هذا البلاغ بالرائد الرسمي للجمهورية التونسية والســــلام.

رئيس المحكمة العقارية
محمد المنصف الزين

الجمهورية التونسية
وزارة العدل وحقوق الانسان
المحكمة العقارية

بــــــــلاغ

عملا بالفصل عدد 6 من المرسوم 3/64 المؤرخ في 20 فيفري 1964 ليكن في علم العموم ان القائمات العامة للعقارات التابعة للمنطقة حرف D من عمادة بورويس الجنوبية من ولاية سليانة وان والواقع مسحها تنفيذا لأحكام المرسوم المشار اليه اعلاه وضعت بمركز معتمدية سيدي بورويس ومحكمة ناحية الكريب
وعلى من يهمه الأمر الاطلاع على تلك القائمات والقيام اذا اقتضى الحال بالاعتراض لدى المحكمة المذكورة في أجل شهر من تاريخ صدور هذا البلاغ بالرائد الرسمي للجمهورية التونسية والســــلام.

رئيس المحكمة العقارية
محمد المنصف الزين

الجمهورية التونسية
وزارة العدل وحقوق الانسان
المحكمة العقارية

بـــــــلاغ

عملا بالفصل عدد 6 من المرسوم 3/64 المؤرخ في 20 فيفري 1964 ليكن في علم العموم ان القائمات العامة للعقارات التابعة للمنطقة حرف C من عمادة بـاز من ولاية سليانة
وان والواقع مسحها تنفيذا لأحكام المرسوم المشار اليه اعلاه وضعت بمركز معتمدية مكثر ومحكمة ناحية مكثر
وعلى من يهمه الأمر الاطلاع على تلك القائمات والقيام اذا اقتضى الحال بالاعتراض لدى المحكمة المذكورة في أجل شهر من تاريخ صدور هذا البلاغ بالرائد الرسمي للجمهورية التونسية والســـلام.

رئيس المحكمة العقارية
محمد المنصف الزين

الجمهورية التونسية
وزارة العدل وحقوق الانسان
المحكمة العقارية

بـــــــلاغ

عملا بالفصل عدد 6 من المرسوم 3/64 المؤرخ في 20 فيفري 1964 ليكن في علم العموم ان القائمات العامة للعقارات التابعة للمنطقة حرف E من عمادة الطلح الغربية أولاد بوسعد من ولاية قفصة
وان والواقع مسحها تنفيذا لأحكام المرسوم المشار اليه اعلاه وضعت بمركز معتمدية بلخير ومحكمة ناحية قفصة
وعلى من يهمه الأمر الاطلاع على تلك القائمات والقيام اذا اقتضى الحال بالاعتراض لدى المحكمة المذكورة في أجل شهر من تاريخ صدور هذا البلاغ بالرائد الرسمي للجمهورية التونسية والســـلام.

رئيس المحكمة العقارية
محمد المنصف الزين

الجمهورية التونسية
وزارة العدل وحقوق الانسان
المحكمة العقارية

بــــــــلاغ

عملا بالفصل عدد 6 من المرسوم 3/64 المؤرخ في 20 فيفري 1964 ليكن في علم العموم ان القائمات العامة للعقارات التابعة للمنطقة حرف K من عمادة الطلح الغربية أولاد بوسعد من ولاية قفصة وان والواقع مسحها تنفيذا لأحكام المرسوم المشار اليه اعلاه وضعت بمركز معتمدية بلخير ومحكمة ناحية قفصة

وعلى من يهمه الأمر الاطلاع على تلك القائمات والقيام اذا اقتضى الحال بالاعتراض لدى المحكمة المذكورة في أجل شهر من تاريخ صدور هذا البلاغ بالرائد الرسمي للجمهورية التونسية والســــلام.

رئيس المحكمة العقارية
محمد المنصف الزين

الجمهورية التونسية
وزارة العدل وحقوق الانسان
المحكمة العقارية

بــــــــلاغ

عملا بالفصل عدد 6 من المرسوم 3/64 المؤرخ في 20 فيفري 1964 ليكن في علم العموم ان القائمات العامة للعقارات التابعة للمنطقة حرف J من عمادة أولاد منصور من ولاية قفصة وان والواقع مسحها تنفيذا لأحكام المرسوم المشار اليه اعلاه وضعت بمركز معتمدية بلخير ومحكمة ناحية قفصة

وعلى من يهمه الأمر الاطلاع على تلك القائمات والقيام اذا اقتضى الحال بالاعتراض لدى المحكمة المذكورة في أجل شهر من تاريخ صدور هذا البلاغ بالرائد الرسمي للجمهورية التونسية والســــلام.

رئيس المحكمة العقارية
محمد المنصف الزين

الجمهورية التونسية
وزارة العدل وحقوق الانسان
المحكمة العقارية

بـــــــلاغ

عملا بالفصل عدد 6 من المرسوم 3/64 المؤرخ في 20 فيفري 1964 ليكن في علم العموم ان القائمات العامة للعقارات التابعة للمنطقة حرف E من عمادة الدرغولية من ولاية مدنين
وان والواقع مسحها تنفيذا لأحكام المرسوم المشار اليه اعلاه وضعت بمركز معتمدية مدنين ومحكمة ناحية مدنين
وعلى من يهمه الأمر الاطلاع على تلك القائمات والقيام اذا اقتضى الحال بالاعتراض لدى المحكمة المذكورة في أجل شهر من تاريخ صدور هذا البلاغ بالرائد الرسمي للجمهورية التونسية والســـلام.

رئيس المحكمة العقارية
محمد المنصف الزين

الجمهورية التونسية
وزارة العدل وحقوق الانسان
المحكمة العقارية

بـــــــلاغ

عملا بالفصل عدد 6 من المرسوم 3/64 المؤرخ في 20 فيفري 1964 ليكن في علم العموم ان القائمات العامة للعقارات التابعة للمنطقة حرف F من عمادة أم العرائس المحطة من ولاية قفصة
وان والواقع مسحها تنفيذا لأحكام المرسوم المشار اليه اعلاه وضعت بمركز معتمدية أم العرائس ومحكمة ناحية قفصة
وعلى من يهمه الأمر الاطلاع على تلك القائمات والقيام اذا اقتضى الحال بالاعتراض لدى المحكمة المذكورة في أجل شهر من تاريخ صدور هذا البلاغ بالرائد الرسمي للجمهورية التونسية والســـلام.

رئيس المحكمة العقارية
محمد المنصف الزين

وزارة الثقافة والمحافظة على التراث

المركز الوطني للإتصال الثقافي

الشّهر الثقافي

نشرية إعلامية تصدر بالتعاون مع المندوبيات الجهوية للثقافة

المدير المسؤول : بوبكر خلوج ـ المنسق : محمد الأزهر الخليفي ـ

بالتعاون مع : نور الصدفي وريم الدبابي

يمكن الإطلاع على نشرية الشهر الثقافي في شكله الجديد من خلال الموقع التالي :

www.culture.tn

ويمكن الحصول مجانا على الشهر الثقافي من خلال :

قصـــاصة إشـــتـــراك **Coupon d'abonnement**

للحصول على هذه النشرية مجانا : Pour recevoir **gratuitement** cette publication

الإسم واللقب : .... Nom et Prénom : ....

محور الاهتمام : .... Centre d'intêret : ....

العنوان : .... Adresse : ....

الترقيم البريدي : .... Code Postal : ....

بعث هذه القصاصة إلى : Envoyer ce coupon :

المركز الوطني للإتصال الثقافي Centre National de Communication Culturelle

31، نهج سيدي بن عروس 1006 ـ تونس 31, Rue Sidi Ben Arous - 1006 Tunis

الهاتف : 293 566 71 ـ الفاكس : 273 566 71

البريد الإلكتروني : E-mail : cncc@email.ati.tn

نشاط نوادي الاتحاد

نادي الشعر :

16 فيفري 2007 ـ استضافة الشاعر : السويلمي بوجمعة

23 مارس 2007 ـ استضافة الشاعر : محمد السبوعي

24 أفريل 2007 ـ استضافة الشاعر محمد الصغير أولاد أحمد (تغيّب)

25 ماي 2007 ـ استضافة الدكتور المنجي الكعبي

15 جوان 2007 ـ استضافة الشاعرة والقاصة كوثر خليل

منتدي القصاصين

9 فيفري 2007 : استضافة القاص : صالح الدمس

9 مارس 2007 : استضافة القاص حسونة المصباحي

13 افريل 2007 : استضافة الناقد : أبو زيان السعدي

11 ماي 2007 : استضافة الكاتبة نعيمة العاشوري

1 جوان 2007 : استضافة الشاعر الروائي محجوب العياري

تكريم وندوة

أقيمت ندوة حول الشعر العربي بالتعاون مع مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين يوم 23 جوان 2007 بمقر الاتحاد. كما تمّ تكريم عديد الأسماء الفاعلة في الساحة الثقافية.

منشورات إتحاد الكتاب التونسيين

عنــــوان الكتــــاب	المؤلــــــــف	تاريخ النشر	السعــر
البشير خريف في عيون النقاد	مجموعة من الكتاب	2003	6 د.ت
التضامن والتكافل في الثقافة التونسية	مجموعة من الكتاب	2003	7 د.ت
في الشعر التونسي الحديث (1)	تقديم أحمد الودرني	2003	7 د.ت
في الشعر التونسي الحديث (2)	مجموعة من الكتاب	2005	10 د.ت
مختارات تونسية في النقد والفكر	عثمان بن طالب	2004	20 د.ت
انطولوجيا المسرح التونسي	سمير العيادي	2005	15 د.ت
انطولوجيا المسرح التونسي (بالفرنسية)	سمير العيادي	2005	15 د.ت
انطولوجيا الشعر التونسي ج 1 (بالفرنسية)	عثمان بن طالب	2003	8 د.ت
انطولوجيا الشعر التونسي ج 2 (بالفرنسية)	محمد القاضي	2003	6 د.ت
انطولوجيا القصة التونسية (بالفرنسية)	فرج لحوار/حافظ الجديدي	2003	9 د.ت
انطولوجيا الرواية التونسية (بالفرنسية)	فرج لحوار/حافظ الجديدي	2004	15 د.ت
انطولوجيا النقد الأدبي (بالفرنسية)	عثمان بن طالب	2004	20 د.ت
دليل الكتّـاب التونسيين	صلاح الدين الحمادي	2005	12 د.ت

نشريـّة الإتحاد

نشرية إلكترونية (نصف شهرية)

رئيس تحريرها : المولدي فروّج

في كل عدد

- أخبار الاتحاد والفروع
- أخبار الأدباء واصداراتهم
- متابعات
- نصوص سردية
- نصوص شعرية
- دراسات
- ملف الشهر (أدباء تونسيون قدامى)
- للاتصال والتواصل (عناوين الاتحادات والأدباء)

عناوين النشرية

http://ecrivainstunisiens.maktoobblog.com
http://uet.oldiblog.com
http://bloghotel.org/uniondes ecrivainstunisiens
htpp://bulletinuet.blog.com

مواقع الربط والتوجيه

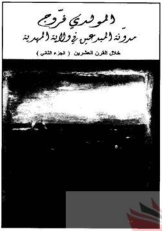
http://uet.ca.cx
htpp://uet.fr.nr
htpp://uetunisiens.fr.tc
htpp://ecrivainstunisiens.fr.tc
htpp://ecrivainstunisiens.fr.nf

مراسلة النشرية وإرسال النصوص

ecrivainstunisiens@maktoob.com
mouldifarrouj@maktoob.com
mouldifarrouj@yahoo.fr

من منشورات الفروع









de gorge qui scelle les grands renoncements. »

O la virile étreinte de l'eau ! Et cette liquidité qui préside à tout élément et à tout mouvement :

« J'ai de l'eau plein les yeux, / Plein la tête, / Et mon corps est une eau qui attend de rejoindre l'eau qui sommeille dans la pierre, / Dans le tronc du figuier géant, / Toute cette joie / mienne, / Qui m'attend. »

De fait, liquide est la passion, dans l'exercice de l'être entre l'attachement et le renoncement ! Liquide de désirs ! Liquide à faire mourir ! Liquide à mourir !

Liquide est ce voyage qui conduit de la tribu au monde, comme un rite de liquidation qui se traduit en une jubilation de la parole dans la gloire du silence, en un sacre de la vie dans les mots de la mort. Car « la parole est belle et suave comme l'eau qui se souvient du sable, du feu et du vent. / La parole est bonne et vive et vivifiante / Comme la joie qui revient ». Car « derrière les voiles sonores des palanquins, les voyelles féminines explosaient en des cris essentiels rappelant aux hommes les triomphes enfouis et les joies souterraines ». Car « rien n'arrêtait en cette marée de désirs fascinés par l'autre berge la détermination d'aller jusqu'au bout du rêve ».

Tel est en fin de compte « le pacte de la vie et de la mort », un pacte qui, au-delà de toute géographie et de toute géométrie, est scellé dans la logique arithmétique, seule peut-être à même de concilier la forme et l'histoire, l'espace et le temps. Et à y regarder de très près, le recueil de Kamel Gaha nous dévoile l'empire qu'y exerce, subrepticement, la loi du nombre au centre de laquelle le chiffre sept (VII), ce chiffre mythique, est rigoureusement et vigoureusement présent, souvent par son absence même – ou par cette omission explicitement soulignée dans la « quatrième suite poétique » où la numérotation passe de VI à VIII (par opposition à la « suite deuxième » où la numérotation est régulière), par-dessus un *silence blanc* qui s'exhibe comme un lieu privilégié de signification du chiffre, un lieu privilégié de la signification.

Ce grand trou noir de la création première n'est sans doute pas étranger à la dynamique de structuration et de restructuration permanente de ce recueil où la combinatoire arithmétique commande la respiration du texte, jusqu'à ses hoquets et ses apnées.

C'est dire que la *Route de l'or* est d'abord arithmétique et que la loi du nombre est fondatrice de toute géographie et de toute géométrie parce qu'elle est loi divine, loi à ravir aux dieux, avant le feu, pour que l'homme se fasse, vraiment :

« La route des Dieux
La route de l'or,
La route de l'homme. »

Et le recueil de Kamel Gaha me paraît témoigner que nul mieux que les poètes, ces « conquérants du possible », ne peut dé-chiffrer le code de la *Route de l'or* et rythmer sa marche. Que nul mieux qu'eux ne peut réussir le juste tracé de l'arithmétique de la création.

Mansour M'HENNI

[1]. *Une traduction littérale donnerait ; ici, quiconque peut venir.*

[2] *A titre d'exemple, les Etats de l'Europe vaincue, en perdant leur autonomie, verront leurs langues se fractionner en une quantité de dialectes.*

[3] *Ibid., p. 29. « Mais à partir de Babel, la diversité linguistique est légiférée par Dieu et la dissémination des populations à la surface de la terre décrétée par lui, irrévocablement » pp. 25-26.*

[4] *De ce point de vue, la Réflexion apporte sa pierre aux recherches récentes sur les langues appliquées dans le nouveau système de l'enseignement supérieur Licence Master Doctorat (LMD), réforme. L'auteur affirme, à ce propos, qu'il existe une politique de soutien des langues étrangères, pierre angulaire de cette Réforme.*

Le Retour du poète

Mansour M'HENNI

J'ai toujours apprécié la littérature (orale et écrite) de Kamel Gaha, qu'elle soit en arabe ou en français. J'y retrouve à chaque fois cette inquiétude profonde et cet étonnement toujours renouvelé devant le cours normal des choses et devant le train-train de la vie, jamais lasse de nous séduire mais jamais assez généreuse pour nous satisfaire. Et K. Gaha de nous trouver que l'éternel recours des poètes, ce bras-le-corps avec la langue qui devient l'essence même de la vie : celle qui la fait fleurir ou ternir, celle qui lui donne goût ou la rend insapide, celle qui lui donne sens au-delà de toute absurdité ou qui la confine au non sens mortel.

J'ai toujours en mémoire le premier recueil de K. Gaha, écrit en arabe par un excellent francophone et publié au début des années 80. Il y avait là un pari civilisationnel et un début de réponse à plusieurs questions de l'époque, qui n'ont d'ailleurs pas cessé de se poser dans certains esprits.

Waraqat min kitab at-tir'hal , tel était son titre et son pèlerinage nous conduisait loin dans la chute aux enfers de la langue et de la vie ! Il était donc regrettable qu'un poète aussi inspiré cessât de se faire lire en poésie nouvelle, un quart de siècle durant. Il était sans doute tout aussi regrettable qu'il ne donne pas à lire ses textes écrits en français.

Usant de cette dictature que l'amitié peut permettre avec les vrais amis, je l'ai harcelé pour qu'il publie son recueil déjà prêt et sommeillant dans un quelconque tiroir de son ordinateur. Et voilà, *La Route de l'or* est en préparation et sortira sans doute au début du mois de juillet. Je voudrais, en avant-goût à cet événement littéraire proposer à la lecture cette préface que l'auteur m'a fait l'amitié de placer à l'entrée de son recueil :

Préface : *Le juste tracé de l'arithmétique de la création.*

On n'aura jamais fini de chercher la route de l'or et de s'aventurer sur les voies et les pistes les plus incertaines et les plus risquées en vue d'entrevoir ne serait-ce qu'un seuil qui annoncerait l'ultime chemin du trésor. En effet, à chacun son trésor et l'on y va par la « route de l'or » qu'on lui conçoit et qui est souvent mouvance « en soi comme en terre d'exode et de haute transhumance ». Renaît alors la joie de l'être comme un don fait par la quête douloureuse qui retrace la géographie du mythe et reconstruit la géométrie du destin, et « déjà recommence la juvénile parade du désir s'essoufflant à mimer la respiration du monde … »

Telle est la première impression que me semble donner la lecture des poèmes de Kamel GAHA réunis sous le titre *La Route de l'or* ! L'impression d'être dans un monde rejailli d'un lointain passé, mythique ou anecdotique, pour inviter à rêver l'instant initiatique où revivent des désirs illicites et extatiques, jusqu'à se retrouver dans l'embrasure d'un seuil dont on ne sait s'il est celui de la sortie de ce monde où l'on se trouve étrangement installé, là, comme sur du feu ou sur du vent ; ou celui seulement d'un monde qui attend là-bas … comme un éclair de brusque lumière – où l'on aspire à être comme une envie qui se distend !

Mais tout semble indiquer que la mouvance en soi est une forme d'intrusion en soi de l'altérité, une forme d'intrusion de soi dans l'altérité, autrement dit qu'on n'est pas seul dans cet *étant* d'extrême limite où, à la lisière d'une mort annoncée, une vie s'esquisse et s'esquive comme un renoncement à l'être :

« Ils saillaient ainsi hors d'eux-mêmes, s'arrachant à la virile étreinte de l'eau avec ce serrement

langue. L'auteur invoque le droit à la différence, et va dans le sens de l'humanisme et de l'universalisme.

L'essentiel de son message est que les aires linguistiques et culturelles constituent à l'heure actuelle des espaces de solidarité, que tout projet culturel est aussi un projet politique et qu'il ne saurait y avoir une séparation entre ces deux objectifs.

Il ne s'agit pas d'opposer une langue à l'autre, d'être des locuteurs captifs dans l'un ou l'autre système linguistique, mais de promouvoir l'idée de multilinguisme, de situation pluriculturelle, de compréhension réciproque entre les différentes langues, de complémentarité et de tolérance.

Partant, la *Réflexion* peut se lire comme une apologie de l'intégration qui dénonce les discriminations raciales, une lutte acharnée contre le sectarisme théologique, la dénonciation de l'arbitraire antidémocratique, la résistance contre l'ignorance et le faux savoir.

Nizar Ben Saad

moindres, du dialogue entre les peuples et entre les civilisations.

D'abord, précise-t-il, « *Le concept de langue étrangère renvoie à la notion d'altérité* » (p. 50). Il insiste ensuite sur le lien dialectique entre langue officielle et langues étrangères plutôt que sur une opposition frontale ressentie par les unilingues : « *Si les langues étrangères sont aujourd'hui les langues du savoir et de la modernité, manions-les pour acquérir le savoir et bien nous ancrer dans la modernité* »(p. 49). En revanche, prévient l'auteur, si les langues étrangères se trouvent réduites à un objet promu à des fins utilitaristes, à un instrument de transition ou d'assujettissement, elles perdent fatalement leur dimension sociale et communicative.

Dans le même ordre d'idées, l'auteur accorde une importance décisive à la traduction à dessein de raffermir les ponts entre les civilisations du monde, d'aiguiser notre curiosité et de féconder notre sensibilité à l'altérité des coutumes et à la diversité des cultures. L'exercice de la traduction « *constitue la principale voie vers la société du savoir qui est l'objectif de notre politique de développement et le garant de notre avenir... la traduction a en outre l'avantage de contribuer efficacement à la réintégration de notre langue nationale dans le monde du savoir* » (p. 59).

Faisant de la traduction un vecteur d'échange des connaissances et du savoir-faire, l'auteur met en exergue « *le rôle crucial qu'elle a joué historiquement dans le développement des nations et les Arabes ont fait figure de pionniers dans le domaine* » (p. 57). Dans l'optique de la création d'une société fondée sur la connaissance, la traduction vise à démontrer que la diversité linguistique est potentiellement un atout qu'il faut saisir afin de contribuer à la construction et au transfert des connaissances, ainsi qu'à leur mise en pratique dans la diversité des contextes économiques, politiques et éducatifs.

L'exercice de la traduction implique, tout naturellement, le développement de compétences plurilingues qui vont bien au-delà de la consécration du pouvoir d'une seule langue : « *En effet, la traduction me paraît constituer d'abord un vrai véhicule des valeurs humaines universelles, notamment celles du respect de l'Autre, du dialogue, de l'échange, de l'humilité ...De là les difficultés que rencontrent les traducteurs pour rendre compte fidèlement, dans la langue d'arrivée, du génie inhérent à l'expression dans la langue de départ* » (p. 61).

Au terme de ce rapide tour d'horizon autour de la *Réflexion sur la question des Langues*, il apparaît que le nouveau message avancé par Mansour M HENNI puise dans le patrimoine spirituel de l'humanité. Particulièrement conscient de cet héritage, il reconnaît et reprend les messages des Humanistes en recherchant les autres à une échelle très large dans l'histoire de l'humanité ; il soutient la thèse que le respect de toutes les identités est le fondement d'une identité de l'universel, de la sagesse universelle, qui n'est pas "*basée sur la disparition des spécificités mais, au contraire, basée sur leur interaction et le développement de chaque culture, de chaque langue et de chaque désir*".

Des facteurs objectifs militent de toute façon en faveur d'une telle synthèse critique, qui ne renonce pas à l'universel, tout en restant fidèle à nos valeurs, à nos principes et à nos idéaux. La *Réflexion* de M. M'HENNI soutient le principe de la liberté individuelle et l'argument du relativisme culturel, lesquels contestent l'idée même du génie de la

limites au libéralisme n'est pas contradictoire avec la liberté d'opinion et d'expression.

Telle est la conviction de l'auteur qui appelle à ce que les valeurs de la diversité culturelle et linguistique trouvent sous nos climats un terrain de parfaite convergence et une terre de prédilection.

Le droit à la différence

Un autre aspect est celui de la différenciation des langues. On ne peut pas traiter toutes les langues de la même manière, elles n'ont pas les mêmes caractéristiques : la situation de la langue régionale en Alsace n'est pas la même qu'en Bretagne. Il s'agit de protéger les cultures particulières comme un élément du patrimoine universel. C'est dans cette lignée-là que se développe la réflexion de M.M'HENNI.

Comme dans tout dialogue, fait remarquer l'auteur, la première condition, c'est de respecter l'Autre dans sa différence. Pour ce faire, il faudra avant tout manifester de l'intérêt pour ces convictions. L'auteur réfute l'immobilisme de ces sociétés qui ne changent pas, qui se reproduisent à l'identique, où il y a de l'uniformité plus que de la ressemblance. Il soutient, en revanche, les sociétés où la dynamique de la différence instaure la logique du changement et du progrès.

Le relativisme qu'il professe a pour objet de valoriser l'égalité entre les cultures, de mettre en évidence la tolérance, l'indulgence et le respect de l'Autre Tirant profit de l'idée de l'infinité des cultures, son relativisme récuse violemment l'ethnocentrisme qui, à ses yeux, relève de la domination culturelle. Or, pour M'HENNI, il n' y a aucune raison de considérer qu'une culture est supérieure à une autre culture. Aussi tance-t-il la supériorité d'une culture sur une autre. Au-delà des différences, des relations de domination et d'opposition, c'est à une pédagogie interculturelle fondée sur l'échange entre les divers domaines linguistique et culturel, reconnus pour leur richesse complémentaire, qu'il appelle.

Il s'agit plus que jamais de consacrer la tolérance linguistique, de maintenir et de développer les traditions et la richesse culturelle des nations arabes, de défendre les valeurs de l'interculturel et du plurilinguisme en évitant toute idée de repliement identitaire.

Dans le respect de l'Autre et l'enrichissement mutuel des différences, l'auteur affirme en substance : « *Une langue se nourrit du contact fécond qu'elle peut avoir avec d'autres langues, de la même manière qu'une culture s'enrichit de son interaction avec d'autres cultures* » (p. 63).

De ce fait, nul ne peut ignorer l'apport des autres cultures. Tout doit être relativisé. L'ouverture aux autres cultures découle d'une intime conviction que la diversité des peuples et la pluralité des traditions, des cultures et des religions sont la manifestation la plus éclatante de la tolérance et de l'universalisme.

Les Langues étrangères : une situation d'altérité

Le résultat attendu de cette « Leçon inaugurale » est de susciter un engagement politique accru en faveur de « *l'ouverture aux langues étrangères et pour la consolidation de leur enseignement* ». Elle éclaire de manière fort convaincante la contribution des langues étrangères au débat actuel sur le dialogue des cultures et sur les relations entre les peuples[4]. L'important, pour l'auteur, est que cette « Leçon inaugurale » puisse donner lieu à une mûre réflexion sur les moyens de consolider la Langue arabe tout en encourageant le maniement des langues étrangères, considérées comme l'un des vecteurs, et non des

Dans la même perspective, l'auteur s'évertue à montrer que la vie et l'unité d'une langue sont intimement liées à la vie et à l'unité politiques d'un peuple[2]. En reconnaissant le rôle civilisateur de la langue, M. M'HENNI affirme que celle-ci constitue certes la meilleure expression de l'identité nationale, mais il souligne qu'elle n'est sans doute pas la seule. Il prévient alors contre la tendance extrême, voire extrémiste, à confondre langue et identité : « *Aussi voit-on le plus souvent les hommes chercher à s'identifier par la langue, poussant parfois l'excès jusqu'à la confondre avec l'identité...* » (p. 22).

En effet, défendre l'identité nationale, c'est avant tout défendre une conception de la société. Sans cette conscience, l'épanouissement d'aucune civilisation n'est possible. Ceci étant, l'identité nationale, poussée à ses extrêmes, est susceptible de dégénérer en un nationalisme exacerbé qui exalte la prétendue supériorité d'un peuple sur un autre, créant ainsi une situation de subversion éthique, politique, sociale et culturelle.

Face aux idéologies du combat et de l'exclusion de l'Autre, l'auteur de la *Réflexion* appelle à élaborer notre culture et notre identité sur un principe de civilité, sur le concept de la tolérance et de l'universel, sur le sentiment patriotique, lequel ne s'épanouit que dans la liberté. Il est donc important que ce facteur de solidarité que constitue la **langue** soit aussi un gage d'ouverture et d'inter - créativité, à un moment où l'aire culturelle, linguistique et idéologique, travaillée par d'innombrables défis, vit un épisode dramatique de régression et de fanatisme négateur.

La diversité culturelle : une aspiration à la convivialité

« *Entre autre indices offerts à notre réflexion, ne pourrait-on pas retenir celui de doter la diversité linguistique d'un rôle important dans le rapprochement des peuples et dans la consécration plurielle des valeurs humaines universelles ?* »[3]. L'auteur perçoit la diversité culturelle non d'un point de vue conflictuel, mais plutôt sous l'angle du dialogue et de l'harmonie. Il s'emploie dès lors à revendiquer avec cran et ardeur le principe sacro-saint de la différence.

M'HENNI nous invite à réfléchir sur la distance entre un dialogue qui cultive le sens de la différence et un dialogue qui tend à l'équivoque en nourrissant la défiance et le dénigrement de l'Autre. Et l'auteur de recommander « *de saisir le piège de cette situation et de ne pas se laisser aller aux réactions émotionnelles et fanatiques que d'aucuns cherchaient à provoquer* » (p. 46).

C'est à la violence et aux injustices intolérables engendrées par l'actuelle mondialisation sous l'égide du capitalisme financier qu'il faut s'attaquer, martèle l'auteur : « *Autant dire qu'à ce moment précis de l'Histoire, une telle orientation des politiques contribue à l'intégration des pays arabes dans le paysage économique mondial et favorise leur accès à la société de l'information et du savoir et leur inscription dans la dynamisation de la modernité* » (p.40).

M. M'HENNI précise sa pensée en soulignant que la mondialisation, pour être acceptable, doit se situer dans ce jeu dialectique où elle a pour contrepoids la sauvegarde des diversités linguistiques, la prise en compte des diversités culturelles. De façon générale, le processus de globalisation nous pose la question des sociétés multiculturelles, du pluralisme linguistique, qui fait que nous sommes en contact en permanence avec une pluralité de langues et de cultures. Dès lors, garantir la diversité culturelle en posant des

que le succès de la langue dominante entraîne nécessairement la déchéance des langues dominées. Ayant besoin d'une langue d'échange, les opprimés accepteront celles des nations triomphantes. Il s'ensuit, un repliement des nations vaincues sur elles-mêmes. La langue du plus fort induit de ce fait des relations de domination et d'opposition : « une langue déterminée et une autre langue minoritaire qui soit en survivance sous la coupe d'une langue dominante » (p. 35).

Alors que certains esprits chauvins se bornent à attester la prépondérance voire l'universalité d'une langue sur une autre, M. M'HENNI remet en cause « la notion de primauté d'une langue par rapport aux autres, chacune ayant son génie propre, comme est remise en question, par exemple, la primauté d'une race par rapport aux autres» (p. 53).

Face aux idéologies douteuses, à la vision nostalgique de quelques grincheux repliés sur un autre temps, la défense et la pratique d'un multilinguisme ouvert constitueront sans aucun doute une des clés de la construction d'une société harmonieuse. En effet, la pratique de plusieurs cultures permet de comprendre qu'une langue, ou une civilisation, n'est pas une fin en soi, mais un outil pour observer le monde et s'y situer.

S'agissant de la défense de la langue arabe, l'auteur soutient qu'elle sera mieux défendue, par rapport à la langue qui risque d'être dominante dans le monde - en l'occurrence l'anglais, ou encore le français, culturellement hégémonique à l'époque des Lumières, porteuse des valeurs dites universelles, parce qu'elles transcendent toutes les sociétés : liberté, tolérance, justice, droits de l'homme-, à condition de ne pas la condamnerr au monolinguisme et à l'unicité culturelle.

Aux yeux de l'auteur, la langue arabe est censée porter des valeurs particulières à même de lui conférer un prestige nouveau, de favoriser son expansion et de diffuser ses valeurs. Elle est, pour lui, une véritable langue d'appartenance à laquelle les peuples arabes doivent s'identifier.

Sans remonter à la grande époque des poètes antérieurs à l'Hégire et aux siècles suivants, l'auteur de la Réflexion rappelle que l'arabe, aussitôt fixé, est devenu la langue des intellectuels dans un espace qui, de la Perse à l'Arabie englobait une grande partie du Levant, toute la Méditerranée africaine et l'essentiel de la Péninsule ibérique. En tant que telle et en tant que langue de la pureté divine, la langue arabe véhiculait alors une littérature considérée comme l'une des plus riches au monde.

A ce propos, M.M'HENNI pose une question cruciale : « comment faire de l'arabe une langue de développement quand ce sont les langues étrangères qui continuent, chez nous, à véhiculer les informations, la technologie et les conditions du savoir ? » (p. 49).

Ce qui est important ici, c'est de constater que la langue arabe, « *l'un des paramètres essentiels de notre identité* », peut aujourd'hui devenir une langue fédératrice, une véritable langue d'appartenance à laquelle les nations arabes peuvent et doivent s'identifier. En somme, pour construire l'image d'une société moderne et civilisée face à la tyrannie du libéralisme aveuglant et confiant dans les mécanismes du marché, « *le processus d'habilitation de la langue arabe à la dynamique de la modernité ne peut être engagé que parallèlement à l'engagement mondialiste, de sorte à faire de ce dernier, lui-même, le fournisseur des conditions et des outils de rehaussement de la langue de soi, à côté et avec les langues de l'Autre*» (p. 40). Il en ressort qu'il est necessaire d'adapter les politiques linguistiques à cette vitalité.

TémoignagesDynamique des langues et gestion de la diversité

Nizar Ben Saad

Avec sa dernière publication (honorée de la préface savante et éloquente du Professeur Abdelaziz Ben Dhia), c'est un autre sujet que M. Mansour M'HENNI nous propose d'aborder : « Réflexion sur la question des Langues » (Tunis, CPU, 2007) qui constitue un point particulièrement sensible des débats actuellement conduits. Il s'agit d'une « Leçon inaugurale » donnée à l'intention des enseignants, des étudiants et des responsables d'institutions éducatives à l'Institut Supérieur des Langues Appliquées aux Affaires et au Tourime de Moknine (c'est d'ailleurs la première publication de cet Institut). C'est une leçon qui semble chercher à se démarquer de la structure classique de la leçon en tant qu'espace de la communication verticale d'un savoir, pour se présenter comme le lieu d'une invitation complice à la réflexion et à l'interrogation. C'est d'ailleurs en tant que telle qu'elle constitue ici pour nous une occasion privilégiée de questionner certaines des thématiques importantes qu'elle a abordées.

Rôle civilisateur de la langue

Dans le cadre d'une vision fondée sur le respect de l'altérité, de l'Identité et de la Différence, M. M'HENNI propose de vastes conceptions idéales sur la diversité et la tolérance afin de pouvoir mieux définir le sens d'une vie libre au sein d'une sociét harmonieuse.

« Qui dit homme dit langage, et qui dit langage dit société », écrivait Claude Levi-Strauss dans ses Tristes Tropiques. En matière de jugement sur les langues, on le sait bien, la subjectivité pèse d'un poids considérable. Sans doute, existe-t-il un lien étroit entre une société et la langue qu'on y parle, si bien qu'à une société corrompue correspond inévitablement une langue corrompue.

Dans une démarche analogue à celle de J.J.Rousseau (Essai sur l'origine des langues,) l'auteur de la Réflexion aborde la linguistique dans une intention principalement pédagogique, culturelle et politique.

A l'instar de Machiavel, il traduit le langage comme un fait social et pense qu'une langue est la mémoire d'un grand cycle historique : « cette conscience a une profondeur ontologique mettant chaque individu devant la nature existentielle de ses interrogations et des réponses qu'il cherche à leur trouver » (p. 33).

L'auteur de la Réflexion nous montre tout d'abord que la question des langues est au cœur de la dialectique de l'universel et du particulier qui parcourt la pensée des Humanistes depuis le XVIe siècle : « La philosophie sous-jacente à un tel enseignement des langues me paraît adaptée à la mondialisation où le risque est grand de laisser se perdre le civilisationnel et le dialogue culturel dans la frénésie des intérêts économiques et politiques ». (p. 59). Selon lui, les langues s'inscrivent dans des relations de hiérarchie et de conflits : la langue du vainqueur impose son mode aux plus démunis, étant entendu

Réflexions

Et que le mot seul
Existe dans un contexte absolu
Il m'a fait plonger dans les nuages
Et m'a guetté de loin
Attendant
Que j'atterrisse à ma manière

Qu'effort et dignité
Se conjuguent en un seul verbe
En un seul vers
En un seul temps

Et Qu'il faut agir selon
Des dimensions propres à moi

Il m'a offert un livre
Et un cadeau
Pour en faire mon monde
Il m'a poussé à quitter sa peau
Violemment
M'a appris à apprendre de ses fautes
Sans qu'il le sache parfois
Que le parfais n'existe pas
Même lui
Qu'il est Humain
Que Dieu seul est parfait
Le restera depuis..
Dès lors, j'ai pu esquissé ma voix(e)
Seul et l'-aimer-
Ce Guerrier de cent ans…
Qui m'a bouleversé.

BESSEM AYDI.

Bessem AYDI
Etudiant de l'école normale de Tunis.

Pater : un Homme de son temps

Je contemple les rides qui fleurissent
Avec autant de fierté
Ça m'inspire la sagesse du monde
Et la poussière du passé
Elle me rappelle qu'il a existé
Dans le temps
Le Sahara
Et que c'était un milieu fécond
Pour nous –Berbères-.
Il m'a appris à compter à l'envers
A saisir la canicule
La rendre brise
Fraîche
Comme la source
Disparue à mon temps
A creuser partout
Là où il y a une brèche
Dans ce monde pourri, corrompu
Mais délicieux
A contempler des cieux inconnus
Comme une cité d'or

Ce dont je me suis fier aujourd'hui
Accentue mes possessions
Banales aux autres yeux
Mais indescriptibles aux yeux de moi

Il m'a appris :
Que l'alphabet commence en A
Finit en Z
Et qu'il faut compter de zéro à
Un infini
Que le temps est irréversible

Car les yeux des femmes sont baissés et les hommes assis.

2- (et muette)

La nuit de Mégare comme celle de Syphax m'irrite
De regards qui ne rencontrent que des murs toujours fragiles
Garantis par la masse d'inépuisables millénaires :

Voudriez-vous sauter légères de pierraille en pierraille
Où l'on permettra bientôt des immeubles ultramodernes
Que l'on vous verrait aussitôt de vous-mêmes entravées

— Éperdues comme jadis dans les étendues emblavées
Dont les riches récoltes évitaient l'octroi aux poternes
Et dans les olivaies qu'émondaient vos hommes. La canaille

Rôde-t-elle près de la gare cherchant des partenaires
Aux larcins silencieux que font durer les heures agiles ?
Elle partage l'antique temps, le présent de ses rites.

3- (que marmonnes-tu ?)

Car la rumeur est moins qu'un murmure et la nuit nous éteint
Derrière les ternes reflets des vitrines de chaussures
Ou les larges rideaux de fer de l'électro-ménager.

Ce qui ne se nommera plus jusqu'au matin où l'on ne
Sera pas venu travailler (lui qui n'est jamais absent)
Saluer de nos mots charmants la clientèle du jour,

C'est cela le temps présent, je le sais, ce clinquant détour
Aux mailles en défaut du filet de ce que l'on ressent
N'ayant reçu ni haine ni désir (il y a maldonne)

Sauf le chat de toi reconnu —que mon rire a dérangé
Et qui s'efface à l'instant pour une retraite plus sûre
Sous les arcades où sa seule prudence le retint.

Didier COSTE

L'homme balaie notre écart après les heures de bureau

Où passèrent fréquents l'index encré et le bris de glace
Dénoncé dans l'indifférence d'épais registres gras
— Le nom du sentiment ne s'y inscrira pas tout de go.

3- (un peu plus loin encore)

Une mobylette grise de cambouis roule sans phare
Conduite par un vieux en blouse trop longue et à chéchia
Qui la chérit depuis tant d'années où elle était la mienne

— Mon amourette éprise du temps dit adieu aux passants
Comme l'un d'eux en lui disant bonjour la bouleversa
Et la vit périr sans parler d'un sentiment trop intime.

Ce passage où nous ne nous sommes pas reconnus exprime
À peu près l'essence d'ici comme ce fut en deçà
Et qu'il n'en reste pas une brise et que je suis l'absent

Car chacun de son côté nous allons pour que la mort vienne
Sans surprise et sans cette grâce qui sur toi se pencha
Quand tes traits apparaissent et que le souvenir m'égare.

II

1- (Ville prophétique)

Un empire vétuste peut-être gagna jusqu'ici
Dont une même poussière couvrait déjà les comptoirs
Et colorait de brun les eaux à la sortie des conduites

Les deniers de bronze y collaient aux mains ridées des marchands
Qui voyagent en grand nombre avec leur ombre portative
Et répandent à la ronde leur langage intermédiaire.

Les invisibles, relevées des flèches du jour, sont fières
Des piments qu'elles servent à l'époux quoique maladives
— Les fenêtres allumées indiquent des mets alléchants

Entassés par couleurs dans des tajines de terre cuite
Qui toutefois ne portent plus de priapes en sautoir

Didier COSTE
Professeur de Littérature Comparée à l'Université Bordeaux 3
Professeur de Littérature Française (et Comparée) à l' Université de Sfax

4 - Le temps présent

I

1- (Sous les arcades)

Sous les arcades de la rue du cinq août la nuit vers neuf
Heures du soir, un chat d'une couleur indéterminée
Vient moite à ma rencontre et puis stoppe brusquement, il s'est

Trompé de maître, ou bien c'était une autre vie, une autre heure
Souverainement banale et dénuée de tout désert
Où l'on meure de soif et d'ennui dans la chaleur terreuse.

On est vautré dans ce rien dont le chat est la face heureuse
Ou peut-être bien semblable à la nuit au parler disert
Et indifférent —un homme d'égalité y demeure

Assis sur une chaise qui aura un barreau cassé
Avant que le jour se lève sur une phrase terminée
Et demain on livrera sur ce trottoir un frigo neuf.

2- (Au coin de la rue)

Voyons donc comme les pavés aujourd'hui sont inégaux
Des dieux blessés ne cessent plus de nous tomber dans les bras
Comme s'il fallait encore à leur départ combler la place

Laissée vacante en notre cœur par les moteurs généraux
— Souvent celle de la bavarde, dedans, dehors, agile
Bondissant à sa façon sur les hauteurs grammaticales :

Tel arrêt de voirie, total, n'est pas une simple escale
Mais poids de cieux terrestres par où le temps effaré file.

Démission

Sans porte et sans fenêtre
Tout au fond de mon être
Un pauvre prisonnier
Brise le tisonnier

Et il jette l'éponge
Il cesse de descendre
Dans son cœur plein de cendre
Il arrête le songe
L'amour et le mensonge

Lui rongent les rotules
La honte et le remords
Il accepte la mort
Acharnée ridicule
Courbé sous sa férule

Pas l'ombre d'une trêve
Ni mon corps ni mon cœur
Terrassés de douleur
N'ont plus assez de sève
Ton amour fut un rêve

Trois canards, deux canards

Trois canards
Blancs et noirs
Volent volent par-dessus
Les collines
Purpurines
Et les villageois bossus

Trois canards
Vers le soir
Sont descendus dans la plaine
Ils s'ébrouent
Dans la boue
Oubliant fatigue et peine

Un canard
Qui s'égare
Du côté des grands buissons
Un renard
Plein de fard
S'en saisit en un seul bond

Deux canards
Bien plus tard
Sont repartis vers la mer
Ils s'en vont
Dans le vent
L'air est plein de cris amers

Samir Marzouki

Ulysse moderne

Samir Marzouki

J'ai erré comme Ulysse
Sur une mer néfaste
Le cyclope a mordu
En plein dans mes rotules
Circé m'a fait pourceau
Tout en groin et en sexe
Pas de Nausicaa
Et pas d'amis fidèles

Voilà que je reviens
Rôder autour d'Ithaque
Mon chien m'aboie dessus
Et mes enfants me chassent
Aucune Pénélope
Ne m'attendra jamais
Je serai comme un loup
Solitaire enragé
Jusqu'au jour de ma mort

Que ma mère pouvait mourir

Bonjour à toi ma pauvre mère
Voici que s'en vient la saison
Où tu dormiras dans la terre
Si loin si loin de ta maison

Bonjour à toi ô jeune fille
Timide et fière timorée
Ton front éteint où la nuit brille
Tes yeux tes mains sont enterrés

Ai-je vécu aussi longtemps
Ai-je vu mes cheveux blanchir
Sans avoir su un seul instant
Que ma mère pouvait mourir

Les souvenirs qui me ravagent
Comme une guerre de tranchées
Comme la mer pendant l'orage
Viennent soudain me retrancher

Du rang des adultes vivants
Je suis un morceau de bois mort
Qu'on a jeté sur un divan
Sans un regret sans un remords

Je suis ton bébé mort en couches
Celui qui aurait pu t'aimer
Que ne réchauffe pas ta bouche
Pour qui le monde s'est fermé

Sur le sol d'un grenier

Ailleurs , *les Pauvres gens* et leur tendre patience
Connaissent le fiel impur des sordides trahisons,
Et le *Joueur* fiévreux et sa folle inconscience
Trahissent la frénésie du jeu et de la déraison .

Mais quatre frères debout surveillent *Karamazov,*
Ils ont pour nom *Ivan, Dimitri, Aliocha, Smerdiakov,*
Et si parmi ce groupe un saint demeure lucide,
Les trois autres rêvent déjà à l'horrible parricide.

Dans un antre sordide s'agite un esprit fort,
Le soleil d'Austerlitz habite ses remords,
Raskolnikov le fier, songe dans son âme hautaine
A libérer le monde des viles larves humaines.

Dans la brume de Moscou s'entrecroisent les destins.
L'Idiot ,prince des âmes prêche l'amour du prochain
Et dans ses yeux si calmes ,les étranges *Possédés*
Apprennent que le crime est fils de lâcheté .

Ainsi s'éveillent au monde des êtres d'exception ,
Assoiffés de grandeur et de vraie rédemption.
Au seuil de leur détresse s'étend la Sibérie,
Terre de rachat intense et de vie aguerrie.

Mais les starets s'amènent dans leurs habits dorés
Pour offrir l'icône à tous ces crucifiés,
Un seul baiser d'amour et l'image sanctifiée
Leur ouvre la voie divine , l'indicible clarté.

Je vous salue , mon Maître ,apôtre de la souffrance,
Exemple inoubliable de la sombre clairvoyance,
Livre ouvert sur les siècles et leçon d'Espérance
Où la douleur d'amour est la seule récompense .

Je vous salue mon Maître à l'orée de la nuit .
Quand dans le bain du Bagne ,l'enfer a soudain lui,
Saviez-vous que le temps arriverait où des êtres ravis
Citeraient dans leur cœur l'immense Dostoïevski ?

Melika Golcem Ben Rejeb

L'hymne au Génie

A l'automne de l'âme , les savoureuses vendanges
Apparaissent mûries aux soleils des Pensées:
Epopées et récits, romans fleuves qu'on engrange
Au subtil refuge des mémoires apaisées .

Je vous salue, mon Maître, avec la déférence
Et l'infini respect qu'on doit aux purs génies,
Car nul mieux que vous n'a testé la souffrance
A la pierre de touche d'un cœur inassouvi.

Je vous salue, forçat surgi de la *Maison des morts,*
Titan dont la sublime plume a su dompter le corps,
Miroir de l'âme humaine et de ses tragédies,
Phénix qui renaît sans cesse de son épilepsie.

C'est dans la ville du Tsar qu'est née la quintessence
D'immortelles créations consacrées à la vie,
Et dans ce grand cerveau régi par une conscience,
Le spectre du mal abject assombrit les écrits.

Mais le temps a trahi les promesses des Poètes,
Orphée ne charme plus l'insensible Cerbère,
Ulysse n'a point atteint les rivages de Cythère,
Et les Muses, endormies, tournent le dos à l'Hymette

Aucun Titan du Verbe n'ébranlera la terre,
Aucun Génie ardent n'inventera l'écrit
Qui d'un vers dérobé au poème inédit
Créera à son insu le séisme littéraire.

Le poète s'essouffle sur des feuilles écornées,
Sa plume s'est engloutie dans l'eau noire des larmes,
Mais le cœur n'y est plus, sa mission abrégée
Eteint de l'écho sombre l'insolite vacarme .

Tout adopte dans ce monde une allure prosaïque,
Les âmes n'écoutent plus la parole prophétique,
Et les strophes délaissent les envolées lyriques
Quand les vers succombent aux délires orphiques..

Car tu ne chausseras plus tes sandales de cristal
O toi Jeune Poésie, sœur de ces demi dieux,
Sisyphe et Prométhée et l'assoiffé Tantale,
Tous trois porteurs de rêves, tous trois voleurs de feu.

Où sont donc les orfèvres, les immenses créateurs
Qui suivront le sillage flamboyant des comètes
Et d'un mot forgeront le portail des planètes,
Créant d'une métaphore l'essence même du bonheur ?

Où sont donc les Poètes ? Car dans cette nuit qui tombe
Sur un monde où le mal et la peur ont semé la terreur,
Seule la magie du Verbe peut enchanter les cœurs,
Et faire vibrer la lyre sous la plume des colombes…

Les Poètes

Où sont donc les orfèvres des grandes strophes mythiques
Les voix aux houles d'or, les puissants magiciens
Somnambules subjugués par les songes cosmiques
Jongleurs de mots d'ivresse, joueurs de clavecins ?

Le monde d'aujourd'hui ignore les symphonies.
Les mots depuis longtemps errent en débandade,
Farfadets et lutins ne chantent plus d'aubades
Et les fées ont jeté leur baguette aux orties..

Car le cœur du poète ne brode plus de merveilles,
L'héritage des géants ignore les tourterelles,
Et la blanche Licorne confie aux hirondelles
La présence des chimères aux créneaux des tourelles

Jadis ; au son des lyres, les cerveaux s'enfiévraient,
Et l'harmonie des rêves et des idées fécondes
Jaillissait, rayonnait et propageait ses ondes
Au-delà des lieux mêmes où planait la Pensée.

Je pleure ton espérance et ta fougue légendaire
Ton esprit de silex et ton cœur indompté,
Je te pleure mon fils, mon martyr solitaire,
Mon enfant qui souffrit de me voir enchaînée.
Et je te vis te cachant dans les forêts amères
Luttant farouchement pour mon salut prochain,
La haine rongeant ton corps et ta belle tête fière
Narguant superbement les arrogants Romains..

Ainsi tu fus saisi mon fils et mon second moi-même,
Victime désarmée d'un perfide Sylla,
Bocchus vendit ton âme à tes ennemis mêmes
Qui signèrent alors ton indigne trépas.

Et je ne te vis plus, seulement dans la nuit,
J'entendis tout à coup les cris de mon enfant.
C'était mon pauvre prince attaché à un char,
Un pauvre corps vivant recouvert de la vague,
De la mer délirante des vainqueurs hilares,
Ma pauvre chair brisée, une hallali sans gloire.

Jugurtha mon enfant, mon si poignant poème,
Ma création brûlante, mon honneur déchirant,
Ta mort ignominieuse a bouleversé l'Histoire,
Les hommes se sont instruits de ton destin violent.

Non, tu ne mourras jamais, ô Prince d'espérance,
Courageux combattant d'une époque surannée,
Tu portes dans ton nom la jeune indépendance
Cette fleur éternelle des peuples opprimés.

Car tant qu'il y aura des terres et des âmes,
Des héros sacrifiés aux bourreaux insensés,
Ton visage hantera l'esprit sombre des infâmes
Et ton bras brandira l'immortelle Liberté. »

Melika Golcem Ben Rejeb, agrégée de français, a enseigné la littérature française aux Universités de Kairouan et de Tunis – al – Manar, se prépare à publier un recueil de poésies : *Alchimie*.

Epopée.

Il est fini ce temps ce soir d'éternité
Où dans ses voiles mauves, la Méditerranée
Chantait d'un ton prenant toute sa mélopée.
Il est fini ce temps, ce soir d'éternité,
Où la puissante Afrique exhumait du passé
Les jours si héroïques de sa fière épopée:

« J'ai recueilli un jour, la jeune, la judicieuse Didon,
L'enfant chérie des Dieux, la source de ma gloire.
Carthage lui doit la vie et l'admirable nom
Qui monta comme un astre au levant de l'Histoire.

J'ai vu ma terre verdir près des contrées sauvages,
Mon blé se relever comme un bel églantier,
Mes cités s'élargir et mes fleuves couler,
Ma gloire se célébrer jusqu'aux lointains rivages.

J'ai porté dans mes flancs Hannibal l'intrépide
Au génie titanesque, au courage merveilleux,
J'ai vécu les souffrances de son cœur limpide
Et je suis tous les jours son périple audacieux.

Comme lui, je chemine dans les froides montagnes
Et je regarde au loin cette ville qui m'attend :
Rome, Reine du Monde, voici ce conquérant,
Ce barbare punique et ce fidèle enfant
Qui s'approche de tes murs pour t'enlever ta hargne.

Mais mon fils est passé, démuni de sa haine,
Envoûté malgré lui par tes yeux éperdus,
Et Carthage s'est tue comme un cœur que l'on jette
Dans l'abîme effrayant de l'oubli absolu.
Des années sont passées avant que l'oubliette
Ne s'ouvre largement sous les pas d'un enfant,
Car tu parus enfin avec ton visage d'ange,
Ton allure de fauve et ton maintien altier
O Prince de mon cœur, prince des Numides,
Héroïque Jugurtha de mes rêves bien aimés.

Yamina Mechri
Née à Tunis le 1er juin 1983, elle poursuit actuellement des études en langue et littérature françaises à la Faculté des Lettres, des Arts et des Humanités de Manouba.

(DES)ILLUSIONS

Scié dans l'asphalte du cœur, le mot
Ombre de lui-même redevient opaque.
Marbre de froideur à la léthargie nouvelle
Brise mes côtes et fais de moi ton héros
Rien qu'au son, rien qu'aux chaînes,
Entravées par le mur de mes maux.

Sombre dans le silence, et ne redeviens plus
Orage, oh ma rage, pluviale et intempestive
Marécages de sable d'or à couronne d'épines
Brouillées ! Sois digne et redeviens mère
Retour aux sources de la mort
Enfante, et sème, les mots jamais ne sont stériles.

Souffre toujours, c'est la catharsis
Oublie toujours, c'est la catharsis
Mais vis, et rappelle toi. Vis,
Bois et danse, tu ne te rappelleras
Rien, et tu te souviendras de tout
Et tout ne t'est rien !

QUELQUES MOTS POUR SON MONDE...

Un cil se rabat
Etrange musique !

Corde de redondances
Desserrée autour des chevilles du temps

Sa note, toujours la même
Lent brouhaha, presque murmure
Ignifuge, telle l'heure
Mirage accordé
Joue !

Etrange musique !

Terre remuée, inconnue
Atone sauf le silence
– Immersion !

Manège du tournis
Eternel.

Aux sources, sans retour
La chute est libre.

Etrange musique !

Poésies

Elles me perturbent. C'est comme si on s'attaquait à mon propre nom et que, ses lettres ayant été mélangées, je n'aie plus de place nulle part. »

*

Seuls ceux qui ne sont chez eux nulle part ont peur de n'avoir de place nulle part. Ou bien : Seuls ceux qui ne sont pas chez eux et dont le nom est altéré parce qu'ils ne sont pas chez eux ont peur de n'avoir de place nulle part — ni chez eux ni ailleurs. Ou bien encore : Seuls ceux qui sont nulle part parce qu'ils ont le désir d'être partout ont peur de n'avoir de place nulle part.

Ceux-là sont nostalgiques ; ils ont la nostalgie du pays natal ; ils ont le mal du pays. Le pays n'existe réellement pas, car autant « la forme d'une ville/ Change plus vite, hélas ! Que le cœur d'un mortel » (Baudelaire, « Le Cygne »), autant les lieux qui ont le plus compté pour nous donnent les ruines les meilleures.

*

Une image s'impose, prend le dessus sur le sémantisme, remue tout de fond en comble et jusqu'à l'étymologie : Ce qui s'abîme, me semble-t-il, tombe en ruine, cependant que ce qui s'abyme menace ruine seulement.

Réflexion gratuite, peut-être, mais *réflexion* née de la profondeur du « i grec » dont la forme tranche avec le « i », trapu et vulgaire, alors que « Y » est élancé et distingué. En caractère normal ou en italique, il donne à voir tout ce dont rêve celui qui a les lettres — Y : la majesté ; y : la maîtrise en même temps que la modestie ; *Y* : la souplesse ; *y* : l'enracinement dans le sol et la volonté de défricher, de chauler, de semer pour cultiver.

Oui, ce qui s'abîme tombe en ruine, cependant que ce qui s'abyme menace ruine seulement. Persiste certes le risque de l'effondrement. Mais non ! « La construction en abyme » est là comme pour nous dire que, en dépit de la poussière, des crevasses et des éboulements, les fondations solides tiennent toujours tête au temps.

Cioran : « Beckett, à propos du *Démiurge*, m'écrit : "Dans vos ruines je me sens à l'abri." » — À quoi bon récolter les prix, être reconnu, faire florès quand une seule phrase, quand un seul mot, parfois un clin d'œil complice justifie une vie de sacrifices et de privations. À quoi bon être lu par dix, cent, mille ou cent mille lecteurs quand un seul suffit, quand un seul est à même de retenir ton nom et de le transcrire correctement.

Aymen Hacen

— Non, mère, pas comme tu l'entends. Pénètre-moi de ton amour, reprends-moi en ton sein, aime-moi !

Etc.

Mais par les temps qui courent, le fils dira plutôt : « Que tu ne mourusses pas comme mouraient les femmes d'autrefois. Que tu ne mourusses pas d'une mort aujourd'hui révolue, dans la chaude maison, de cette mort des femmes en couches qui désiraient se refermer et ne le pouvaient guère. Parce que ces ténèbres dont elles accouchèrent avec l'enfant demeurèrent là, pressantes, et rentrèrent en elles. À tout jamais. »

Dans « Requiem für eine Freundin», Rilke écrit :

[…] Dir schien,
weil du gewohnt warst an die andern Maße,
es wäre nur für eine Weile ; aber
nun warst du in der Zeit, und Zeit ist lang.
Und Zeit geht hin, und Zeit nimmt zu, und Zeit
ist wie ein Rückfall einer langen Krankheit.

([…] Il te semblait,
habituée que tu étais à d'autres normes,
que ça ne durerait qu'un instant ; mais dès lors
tu étais dans le temps, il est long, le temps.
Et il passe, le temps, et il croît, et le temps
est comme la rechute d'une longue maladie.
Rilke, « Requiem pour une amie »)

*

À bon vin point d'enseigne. Écriture à l'image du « Y ». À l'image de la fronde. Et, par le truchement de la force centrifuge, les mots nous *alcoolisent* le sang.

*

« De A. à Y. » : ceci n'est pas une dédicace. « Y » ne cache personne, et il ne faudrait nullement *y* voir quelque muse dont l'initiale serait l'arbre qui cacherait la forêt. « Y » ne renvoie ni à Yaëlle, ni à Yafa, ni à Yamna, ni à Yamina, ni à Yasmina, ni à Yolla, ni à Yosra, ni à Yves, ni à Yan, etc.

« Y » est cette lettre impromptue, que Rimbaud passa sous silence dans son sonnet, « Voyelles » ; lettre dont l'omission serait pourtant fatale à l'alphabet français.

« Y » est la deuxième lettre du prénom de celui qui écrit, de l'écrivant ; laquelle lettre est souvent reléguée en troisième position, comme dans Haymen, germanisation inattendue d'un nom levantin. « Y » est, dans mon prénom, le signe d'appartenance à un horizon multicolore, celui qui donne à lire, à écrire et à entendre un nom venu d'ailleurs. Un nom-abyme. Un nom-mosaïque.

Odysseas Elytis : « Je ne pense pas non plus être envahi par la nostalgie d'une époque heureuse où j'aurais vécu. Non, simplement je ne puis supporter les fautes d'orthographe.

Aymen Hacen est né à Hammam-Sousse en Tunisie en 1981. Ancien élève de l'École normale supérieure de Tunis, agrégé de lettres modernes, il est aujourd'hui allocataire-moniteur de l'École Normale Supérieure Lettres et Sciences humaines de Lyon où il prépare un doctorat sur Cioran. Poète et essayiste, il a publié dans Le Nouveau Recueil et Europe. Il est, entre autres, l'auteur de Stellaire. Découverte de l'homme gauche, paru en 2006 aux éditions Fata Morgana, ainsi que d'Alphabet de l'heure bleue (Jean-Pierre Huguet éditeur, 2007) et Erhebung, vingt et un textes pour vingt et une photographies de Yan Tomaszewski (à paraître en septembre 2007 chez Jean-Pierre Huguet éditeur).

LA VOYELLE ET LE VOYOU,
Découverte du pays intérieur

De A. à Y.

De ce côté-ci de l'Océan, sur les rives de la mer Méditerranée, les pieds plantés dans le sable, humide et doré, les yeux subjugués par la lumière qui, elle, sévit depuis des siècles, en dépit de la fuite des jours.

J'écris sur le sable le nom : pays.

Une vague en chasse une autre, couvre le sable et efface le nom écrit. Une vague en chasse une autre et me destine à l'exil.

Nul esprit désormais ne hante ces lieux. L'esprit s'en est allé, loin du corps, comme la voyelle — i grec — a déserté mon alphabet et le nom, pays.

Pas d'esprit dans ce pays, et j'ignore tout de mes commencements. Peut-être accepterais-je de perdre de nouveau mon pays retrouvé, pour peu que ni l'hymne ni l'hymen ni le poème ne s'abyment dans l'œil blanc de Sibylle.

*

Sa vie durant sa mère tentait d'occulter son passé, du moins avait-elle risqué de l'oublier pour vivre dans le présent. Elle ne s'attarda pas sur les ruines. Oublia ce rien d'amour auquel elle eut la chance de goûter par le passé. Passé éphémère et lointain.

En un mot, elle vécut dans le présent. Elle savait pourtant que le passé ne s'empoussière jamais et qu'il peut, à un moment ou à un autre, renaître de ses cendres, prendre feu et faire se consumer le présent et l'avenir. Son fils était son présent. Elle croyait qu'il était un présent éternel, un présent qui n'en finira pas de naître. Elle rêvait que son fils, qui usait des gestes humains comme des graines d'un sablier, venait poser sa main sur la sienne, tremblante, la considérait longuement avant de sourire sereinement et de lui dire :

— Mère, aime-moi !

Elle rêvait que la sincérité de son fils ne manquerait pas de l'émouvoir. Que des larmes monteraient incessamment à ses yeux. Larmes brûlantes comme un feu de glace. Et elle murmurera :

— Mais je t'aime, mon fils…

dressant leur tête, regardaient dans sa direction et aboyaient, comme s'ils insistaient pour qu'il continuât à les suivre en se hâtant, puis reprenaient leur course. Ils contournèrent le pavillon. Au fond du jardin, ils s'arrêtent, attendent Soukoun-Noukous, impatients.

L'homme se baisse, regarde dans l'herbe, là où les deux chiens ne cessent de renifler. Il n'y avait rien qui soit susceptible de susciter l'inquiétude, aucune bestiole, ni scorpion, ni serpent, ni lézard, ni crapaud. Les chiens attendaient, excités, les pattes bien droites, leurs griffes écartées, enfoncées dans la terre, les oreilles dressées et la queue remuant nerveusement. L'homme se baissa davantage, déplaça son regard parmi les herbes, déplaça des pierres, du bois sec, écarta des feuilles mortes, ne trouva rien.

Au moment où il s'apprêtait à abandonner cette quête inutile, sans but précis, son regard rencontra un objet, à peine visible, presque entièrement couvert de sable et de brindilles, dont juste un bout scintilla à la lumière du jour. Du revers de la main droite, tout en essayant de retenir un peu à l'écart les chiens de la main gauche, il se mit, fébrilement, à dépoussiérer l'objet.

Apparut, alors, une chaîne en or.

Il dut creuser, avec l'énergie de la curiosité, pour déterrer l'objet au bout de la chaîne, enfoui dans la terre.

C'était une montre à gousset.

Encore accroupi, il contemplait, intrigué, cette montre enfouie dans la terre, sous des couches de sable et de poussière, parmi les racines des orties et les piquants des chardons, les crochets de la bardane, les fleurs du séneçon et de l'herbe aux verrues.

Il contemplait cet objet et, subitement, dans sa mémoire se bousculèrent des images.

Il revoyait l'inquiétude de son père qui ne retrouvait plus sa montre, qu'il avait l'habitude de retirer du gousset de son gilet d'un geste ample, en la retenant du bout de la chaîne d'or, maintenue entre le pouce et l'indexe, bien couchée au creux de la main. Quand le geste était accompli dans sa perfection, avec le mouvement habituel du bras qui dessine dans l'air une courbe, d'une subtile chiquenaude, l'angle du pouce ouvrait le couvercle gravé de motifs d'une délicatesse appartenant à un autre temps, et le regard scrutait le cadran : la trotteuse d'un mouvement brusque, nerveux, se déplaçait par à-coups, les aiguilles, indexaient des chiffres ; et la trotteuse se déplaçait nerveusement, inexorablement, par à-coups, et les deux aiguilles, qui semblaient désespérément immobiles, reposaient sur un système complexe de ressorts se détendant insensiblement mais inlassablement, de pignons au mouvement vertigineux incessant. Puis, le bruit sec du couvercle étouffant l'entêtement du rouage, la courbe du bras ramenait la montre contre les pulsations du cœur.

La montre était là, dans sa main, sa chaîne pendait jusqu'à terre.

Quand il épousseta avec un pan de sa chemise le verre, le cadran apparut avec les chiffres romains noirs, les aiguilles dorées et la trotteuse immobiles, arrêtées sur une heure, comme si le temps, dans cette boîte, était mort.

D'un geste automatique, l'homme posa l'objet contre son oreille.

Il n'entendit rien.

Il le secoua énergiquement à plusieurs reprises.

L'objet restait sans vie.

Aucun bruit ne faisait écho dans le boîtier, aucun mouvement n'agitait les aiguilles.

L'homme s'extirpa difficilement de la glue de son abattement.

Il leva la tête et son regard traversa l'un des deux triangles formés par les bras de la femme.

Il eut l'impression que la femme était inconsistante, immatérielle et qu'il la traversait comme dans un rêve ou un conte fantastique.

Son regard rencontra dans le premier cadre une sorte de boule de feu. C'était Lahloubet-Nar, le coq rouge, le plus fier de la basse-cour.

Il traversa le premier cadre, affichant ostensiblement sa fierté et sa force, en adoptant une démarche à la fois lente, coquette mais ferme et en accentuant les effets de son charme comme un dandy à l'allure conquérante, la crête cramoisie dressée en couronne sur sa tête, les plumes de la queue lisses, chatoyantes, recourbées en élégants arabesques.

Il disparut, l'espace de quelques secondes, derrière l'axe formé par la tête et la nuque de la femme, pour reparaître dans le cadre suivant, dans la posture du dominateur impassible.

Dans le premier triangle, apparut Folla, une poule parée de belles plumes lisses, luisantes, aussi blanches que la fleur de jasmin.

Le coq, de sa démarche la plus sûre, la plus imposante et la plus tranquille, revint dans le premier cadre.

Maintenant, Lahloubet-Nar et Folla sont dans le même champ de vision de l'homme.

Le coq continue à se déplacer fièrement, arborant sa crête aussi rouge qu'un tison et sa queue comme un panache de flammes. Indifférent à la présence de la poule, il continue à se déplacer, toujours dans l'espace du cadre, en suivant un itinéraire sous forme de courbes imperceptiblement concentriques, s'arrêtant, de temps à autre, pour remuer la terre d'un coup de bec puissant et décidé. Quand il a déniché un vermisseau ou une graine, il s'écarte légèrement, invitant, de cette manière gracieuse qui lui est propre, la poule à déguster la précieuse denrée.

Au moment, le plus inattendu, quand la poule a savouré le présent, subitement, la boule de feu, le bec en fer de lance et les griffes en grappins, d'un seul bond, comme une furie, se trouve sur le dos de la poule, la couvrant de toute la puissance de son corps, et des flammes de ses plumes. Celle-ci, surprise par l'assaut du mâle, pousse des cris de détresse pour alerter toute la basse-cour, tente de se dérober à la violente emprise du coq au désir irrépressible, mais en vain.

L'homme assistait à ce spectacle d'une beauté démentielle : une boule de feu hérissée de flammes couvrant une boule de neige remuant, s'agitant.

La poule n'opposa plus aucune résistance. Elle creusa le dos et le coq de toute la fièvre de sa force de mâle tangua frénétiquement, trois ou quatre fois, avant de lâcher prise. La poule se redressa, secoua ses plumes, étourdie pendant un laps de temps.

Le coq et la poule quittèrent le cadre formé par les bras de la femme et disparurent du champ de vision de l'homme.

Mais, dans ses yeux, dansait encore la sensualité fulgurante de la boule de feu enveloppant la boule de neige, quand les chiens, Têbaa et Douhour, arrivèrent en courant, aboyant à perdre haleine. Leur attitude signifiait qu'il devait les suivre. Ils aboyaient en le fixant des yeux. Dès qu'il se leva, tira son fauteuil de côté, pour pouvoir les suivre, Têbaa et Douhour se mirent à courir. Ils le précédaient, s'éloignaient, revenaient vers lui,

d'outillages et d'objets récupérés dans des bennes à ordures, dans des terrains vagues, sur les places publiques, sur la chaussée, sur les trottoirs, sur la plage ou achetés au marché aux puces : des tournevis, des pinces, des écrous, des boulons, des clous tordus, des marteaux, des burins, des pièces sans nom. Entre les mains, il tenait deux fils électriques reliés à un testeur qu'il plaçait à différents points d'une pédale servant à actionner la machine. Son regard se déplaçant furtivement de l'appareil testeur à la pédale, tentait de s'assurer que ses doigts maintenaient les fils en contact avec les points adéquats, avec toute son attention portée vers le moment où les aiguilles du voltmètre se mettraient à bouger, glissant, subrepticement, en un mouvement circulaire qui les conduiraient, du côté gauche, marqué du signe moins, vers le côté droit, marqué d'une croix. Ses mains, ses yeux étaient le prolongement d'une logique qui torturait son esprit.

Sa patience commençait à s'exaspérer parce qu'il ne parvenait pas à s'expliquer que les considérations théoriques parfaites conçues par son esprit ne concordaient pas avec la réalité matérielle, la contingence physique.

Les aiguilles du testeur ne réagissaient pas ; elles restaient comme mortes couchées sur le flanc gauche. Il procédait par élimination comme on le lui avait appris. Mais le pouvoir des raisonnements scientifiques, l'efficacité des applications techniques, l'infaillibilité de la logique n'opérait point.

Il était au bout de son raisonnement et les aiguilles ne bougeaient pas ; elles restaient désespérément inertes. L'homme ne comprenait pas et l'outil ne l'aidait pas, ne réagissait pas. Son esprit était torturé, ses nerfs exaspérés.

Il repoussa avec lassitude le testeur dont les fils s'agitèrent dans tous les sens puis s'immobilisèrent et reposèrent mollement sur la surface de la table comme les filaments d'une méduse morte.

D'un geste rageur de découragement, il jeta la pédale coincée irrémédiablement dans sa rouille, prise dans le piège du temps.

La femme cessa de regarder l'entrelacs de feuilles et de branches dans le remous de son breuvage.

Elle s'enfonça davantage dans son fauteuil en plastic, étira sous la table ses jambes roides, collées l'une à l'autre, redressa son dos de manière à le caler droit contre le dossier du fauteuil et joignit les mains derrière la tête.

Ses bras formèrent ainsi deux triangles symétriques, de part et d'autre de sa tête.

Elle semblait regarder, derrière l'homme, le mur criblé de trous, de lézardes et de crevasses provoqués par les vents marins qui ont, progressivement, fait décollé des pans entiers du revêtement en ciment, le réduisant ainsi en poussière.

La femme avait l'air absente, le regard vide, aveugle comme celui des statues.

Elle semblait fixer le mur délabré, mais devant les yeux de sa mémoire défilaient des images incontrôlées de sa vie dans d'autres lieux avec d'autres personnes. Sur les murs comme sur un écran défilaient les images. Dans le creux d'une alvéole son esprit s'arrêta sur une image qui grossit démesurément.

Le temps s'arrêta et l'image persista : l'image d'elle-même enfant perdue, seule dans un train traversant une ville immense, sans savoir dans quelle direction il glissait inexorablement, avec un bruit de métal scandant son angoisse et le transformant en cauchemar.

Mokhtar SAHNOUN est enseignant de langue et littérature françaises à la Faculté des Lettres, des Arts et des Humanités de la Manouba. En tant que chercheur, il a publié des articles dont le denier, « Didactique de l'oral : articulation et harmonisation » Le Français Aujourd'hui, N° 154 – Septembre 2006 et un ouvrage critique : Samuel Beckett : Une sémiotique des Objets de valeur, Publications de l'ÉNS ; Études de littérature, langue et civilisation (vol. VI) ; 1998. Il est, par ailleurs, auteur de trois textes :
Suaire, recueil de poésie, Publications de l'A.T.P.F. (1993).
Embruns suivi de Buisson de menaces, recueil de poésie, Atlas Éditions (1997).
Tsunami, roman, Cérès productions (2001), a été récompensé par le prix Comar d'Or du premier roman en 2002.

Le Panache des brisants, à paraître en 2007, extraits.

Teyha avait le visage enfoui dans des boucles sauvages, aussi emmêlées que des touffes de filasse. Ses lèvres, aussi minces qu'un fil de fer, étaient pincées en un rictus dont l'expression indéfinissable mais définitive oscillait entre la souffrance et l'indifférence, l'amertume et le mépris, l'insolence arrogante et la misère la plus avilissante. Ses sourcils, à peine soulignés, étaient tirés comme par un réflexe nerveux vers le front marqué par le canif violent et cynique du temps. La peau, poncée par la meule rugueuse du mal d'être, était d'un teint livide contrastant avec les ombres roussâtres de ses cheveux où s'entremêlaient des reflets ternes d'un soleil d'éclipse.

Elle était assise silencieuse en face de Soukoun-Noukous qui habitait la citadelle de son mutisme. Entre eux se dressait une table de forme circulaire aussi infranchissable que des déserts immenses, infinis.

Devant l'homme, sur la table, traînait une tasse vide au fond de laquelle une goutte de café reflétait les palmes qui balançaient délicatement dans un ciel sans nuage au bout d'un tronc escaladant les airs comme la tour de Babel. Il avait l'habitude de boire le contenu de sa tasse d'un seul trait, en renversant la tête vers l'arrière et en soulevant le bras replié formant un angle avec l'avant-bras et pointant le ciel du coude, d'un geste sec et décidé.

Devant la femme, une tasse était pleine d'un liquide d'une couleur improbable. Elle en buvait à peine une gorgée, à intervalles réguliers, au rythme infaillible d'un métronome scandant la vacuité de l'errance. En déposant la tasse, avec les mouvements lents d'un aï pour éviter de heurter la table, en y mettant, à chaque fois, un grand soin comme si l'équilibre du monde ou le sens de sa vie en dépendait. Elle scrutait systématiquement la surface du liquide vacillant qui reflétait l'entrelacs mouvant des feuillages, des spirales des vrilles, des rameaux et des branches formant au-dessus de sa tête une sorte de couvercle infranchissable, instable, comme un ciel menaçant.

L'homme était en train de réparer une vieille machine à coudre toute rouillée qu'il avait ramassée parmi les ordures, au pied d'un mur. Autour de lui, sur la table, sur les chaises, par terre, étaient éparpillés des boîtes en carton, en bois, en métal, des canettes remplies

Fictions

Si le monde n'était que des enfants

Houssine El-Ouri

Traduit de l'arabe par Ali Abassi

Si le monde n'était que des enfants
Je n'aurais pas bu les mers de chagrins
Je ne serais pas persécuté chez moi
Je n'aurais pas à craindre ma voix
Je ne verrais pas ma chanson jetée au feu

Si le monde n'était que des enfants
Je ne verrais pas, quand j'embrasse mon père amputé des pieds et d'une main,
Hiroshima surgir comme un démon
De couleur scélérate qui me menace
Qui tue le baiser et me terrifie
Et qui sur mes lèvres donne à l'amour la couleur de la haine

Si le monde n'était que des enfants
Je n'aurais pas porté sur mon épaule
Mon linceul, mon épitaphe et ma tombe
Je ne craindrais pas qu'on frappe à ma porte à l'aube
Je ne craindrais pas la tombée de la nuit
Sans le clair de la lune
Je ne voyagerais pas dans un verre

Si le monde n'était que des enfants
Aujourd'hui, je n'aurais pas besoin de mon identité
Je n'aurais pas voué mon sang à ma race
Je ne me serais pas ouvert les veines
Pour que s'y abreuve ma vigne
A ma plaie je n'aurais consacré
Ma peine mes douleurs et ma chanson

Si le monde n'était que des enfants
Je n'aurais pas émigré vers un pays
Et à un autre je n'aurais pas tourné le dos
Je ne ressasserais pas ouvertement :
« La géhenne enceinte c'est l'autre »

Houssine El -Ouri, « *Dhamaou'l Yanabî* » (La Soif des sources), Ed. Les Quatre vents, 1985, pp. 20-

Reviendra-t-il ?

De Zoubeida B'chir
Traduit de l'arabe par Ali Abassi

O nuits de chaleurs dans ses bras
Hier reviendra-t-il ?
A ce cœur qui vit de ses regrets
Et du souvenir
Qui attise le feu de sa frustration
Car les nuits d'éloignement ne nous ont laissé que l'ennui
Après avoir
Somnolé sur les ailes du rêve
Dans les bras de l'espérance
O nuits de chaleur... Sera-t-il possible... ?

O nuits de chaleur, parlez-lui de moi
De mon malheur
Pendant les longs soirs de veille et de froid
Rappelez-lui
Que je m'endors sur l'écho de :
« Je retournerai
A mon pays...
A toi, ô chant de l'éternité qui
Ebranlas mon âme
Je retournerai... »

O nuits de chaleur, dans ses bras
Je vivais
Puisant l'espoir souriant dans sa foi
L'amour vaincra
En dépit de tous les obstacles
Par l'amour, nous nous élèverons
Au-dessus des illusions de la vie...
Mais, durant les nuits d'éloignement
J'ai gâché mon existence
Et tout ce que j'espérais est fini
Comment, ô nuits, ferai-je mon salut ?

Zoubeida B'chir, « Hanîne » (Nostalgie), Tunis, Maison Tunisienne d'Editions, 1968, pp.28-30.

Senters de la terre et de la colère

De Fadhila Echebbi
Traduit de l'arabe par Ali Abassi

Donne-moi les senteurs de la terre

Les senteurs de la terre

Sous mon regard, entaille les mots

J'ai soif…

Quand les gens se baignent dans
les rives du crime

Quand l'enfant ne sait plus jouer

Quand se dissipent la visibilité et
les voiles

Alors…

Arrête-toi dans la pupille du monde

Et lance la terre !

Du bois, elle n'en a guère trouvé
dans les usines de la terre

Et de la colère, elle n'en a guère
trouvé dans les cœurs des hommes

Alors, de cette violence…

Fais des portes

Crée des merveilles

Donne-moi, donne-moi, donne-moi

Les senteurs de la terre

Et dans mon cœur sème la colère

Fadhila Echebbi, « Raouaîhoul'ardhi oua'l Ghadhab (Senteurs de la terre et de la de la colère), in Mohammed Salah Ben Amor, *Histoire de la littérature tunisienne,*Tunis, Beit-El-Hikma, Carthage, 1990, pp. 220-221.

TRADUCTION

Edito:

Le génie des langues

Kamel Gaha

Valéry identifiait la poésie à une *passion de la langue* et les poètes à des passionnés subissant son charme et la célébrant comme la manifestation la plus pure, la plus exacerbée et la plus exhaustive de l'humanité de l'homme.
L'homme, que la langue rend visible en le soustrayant au mouvement général des phénomènes naturels, gigantesques, incommensurables, sublimes pour l'observateur qui les contemple, mais sans voix.

L'homme qui habite la langue depuis qu'il est homme, comme son lieu intime et secret, mais aussi comme le *lieu commun* de toutes les créatures à voix.
L'homme qui se souvient par le corps et par la langue.
L'homme qui mue par le corps et par la langue.
L'homme qui rêve, qui pense, qui imagine, qui invente, qui crée, par le corps et par la langue.

Un autre grand de la langue - appréhendée comme signature cosmique de l'espèce - James Joyce, faisait de la langue et de l'œuvre, un espace de transition et de transhumance qui attend d'être traversé par la *figure* du sujet; le lecteur, l'énonciateur, l'énonciataire, ... La langue devient de la sorte *événement* et *avènement*; consacrant la venue au monde et à la culture de cette figure.

Joyce *fictionalise* cette entité étrange sous les traits d'un personnage qui porte un nom encore plus étrange, *H C E* ; ce qui correspond aux initiales de la formule anglaise *here comes every body* : *ici advient le sujet*[1], ou plus simplement encore, ici, est le lieu de l'homme, de tout homme.

Nous avons longtemps été éduqué à penser, et à enseigner, que la langue était une position, un retranchement derrière lequel s'abrite l'identité irascible du sujet ; et c'est de la littérature et de l'intelligence que nous vient cette leçon d'humanité et de clairvoyance. Les langues ne sont pas quelque chose - une position, substance, une vision figée, ... - elles rendent possible quelque chose, la venue au monde d'un sujet mature, d'un sujet qui sait qu'il est un moment dans l'histoire de la langue et du monde, mais qu'il n'est que cela, et c'est déjà beaucoup.

La rédaction remercie tous ceux qui ont bien voulu lui soumettre des textes pour ce numéro d'*Al – Malaf* et les invite à continuer à soutenir l'option qu'elle incarne.
Pour aider la rédaction à mieux utiliser les contributions adressées au périodique, nous prions les auteurs de joindre à leurs textes, leur adresse électronique et leur numéro de téléphone, accompagnés d'un court *c.v.*, et si possible, de les faire parvenir sous forme de document attaché, à cette adresse électronique :

almalaf07@gmail.com

Bonne lecture.

Sommaire

Editorial

Traduction

Fictions

Poésies

Réflexions, témoignages

AL - MASSAR

Revue de l'Union des Ecrivains Tunisiens

ALMALAF N°5

Supplément en langue française
coordonné par Mohamed Kameleddine GAHA

N°78

MAI / JUIN 2007